حسن الصفار

الثائر والسجن

دراسة في حياة الإمام الكاظم (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللهِ ويخشونَهُ ولا يخشون أحداً إلا اللهِ وكفى باللهِ حسيباً
"الأحزاب ٣٩"

الإهداء

إلى الباحثين عن الحرية..
إلى المجاهدين في سبيل الله..
إلى أبطالنا في غياهب السجون وزنزانات التعذيب..
اقدم هذه الصفحات..
من حياة الإمام الكاظم..
عسى أن تكون مشعلاً يبدد ظلام الوحشة..
والألم عن كل مؤمن معتقل..

تقديم

لقد منّ اللّه بلطفه وكرمه على أمة الإسـلام و البشـرية جمعـاء بـاثني عشـر إمامـاً معصوماً من ذرية خاتم الأنبياء محمد صلى اللّه عليه وآله.

وشاءت حكمة اللّه تعالى أن يعيش هؤلاء الأئمة الهداة في ظروف مختلفة، وأوضـاع متباينة، لترتسـم بـذلك أمـام المسـلمين خريطـة متكاملـة وصـورة واضـحة لتطبيـق قـيم الإسـلام وتجسيد مبادئه في مختلف الظروف والأوضاع.

فإمام يصل إلى الحكم ويمارس السـلطة الزمنيـة هـو الإمـام أمـير المـؤمنين علـي بـن أبي طالب(عليه السلام) والذي ألحت عليه جماهير الأمة بقبول البيعة بعد مقتل عثمـان بن عفان سنة ٣٥هـ، واستمر قائماً بأعباء الحكم حتى استشـهد سـنة ٤٠هـ في محـراب صلاته.

وإمام يضطر بعد أن بويع بالخلافة إلى الصلح والمسالمة لتعذر المواجهة وتناقضها مـع مصلحة الإسـلام آنذاك كما حدث للإمام الحسن بن علي(عليـه السـلام) في تنازلـه عـن

السلطة وصلحه مع معاوية بن أبي سفيان والذي تم في منتصف جمادى الأول سنة ٤١هـ أي بعد مضي حوالي ثمانية أشهر على مبايعته بالحكم بعد استشهاد أبيه علي.

وإمام يعلن الرفض ويقود الثورة على السلطة الحاكمة ويخوض معركة عسكرية تنتهي باستشهاده وجميع أهل بيته وأصحابه في العاشر من المحرم سنة ٦١هـ هو الإمام الحسين بن علي(عليه السلام).

وإمام ينتصب في محراب العبادة ويوجه الأمة عبر أدعيته ومناجاته ليعيد لها توازنها الروحي بعد أن سيطرت عليها المادة والروح المصلحية هو الإمام زين العابدين علي بن الحسين(عليه السلام).

وإمام يغتنم الفرصة ليقوم بنشر العلوم والمعارف الإسلامية ويفضح تيارات الانحراف والتزييف ويربي جيلاً من العلماء والمحدثين كما صنع الإمام محمد الباقر والإمام جعفر الصادق(عليهما السلام) أواخر الدولة الأموية وبدايات الدولة العباسية.

وإمام يقضي سنوات طويلة من عمره في السجون والمعتقلات ويدير شؤون الرسالة من خلف القضبان والأسوار ويضرب أروع الأمثلة في الاستقامة والصمود هو الإمام موسى بن جعفر الكاظم(عليه السلام).

وإمام يشارك في الحكم ظاهرياً فيتبوأ المقام الثاني في السلطة ويصبح ولياً للعهد كما حدث للإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) الذي ولاه المأمون العباسي ولاية عهده وبويع بذلك في الخامس من شهر رمضان سنة ٢٠١هـ.

وإمام تفرض عليه الإقامة الجبرية ويعيش تحت رقابة صارمة ويمارس مسؤولياته الرسالية رغم كل ذلك كالأئمة الثلاثة محمد بن علي الجواد وعلي بن محمد الهادي والحسن بن علي العسكري (عليهم السلام).

وإمام تشاء حكمة الله تعالى غيبته عن أعين البشر فيبقى منتظراً أمر الله وإذنه بالخروج ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً وهو الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف.

هذه الأدوار المختلفة للأئمة (عليهم السلام) والتي فرضها اختلاف الظروف والأوضاع السياسية والاجتماعية تقدم لنا نموذجاً تطبيقياً متكاملاً لتعاليم الإسلام وهديه في شتى مجالات الحياة وأحوالها.

صحيح أن رسالة الله تعالى شاملة ودينه كامل لتوجيه الإنسان للتي هي أقوم في كل المواقف والظروف إلا أنه سبحانه زيادة في اللطف والإنعام وإثباتا للحجة شاءت حكمته أن تقترن أهم تلك التوجيهات الإلهية بممارسات وتطبيقات فعليه عبر أوليائه الصالحين الذين اصطفاهم وفضلهم على العالمين.

وفى هذه الصفحات المتواضعة نريد التتلمذ على حياة أحد الأئمة المعصومين هو الإمام موسى أبن جعفر الكاظم(عليه السلام) في جانب تشتد الآن حاجتنا إليه. ذلك الجانب هو مواجهة مشكلة السجون والمعتقلات..

فسلاح الاعتقال سلاح قديم يشهره الظلمة في وجه رواد الحرية والعدل، ودعاة

الحق والإصلاح.. والواعون المؤمنون من أبناء أمتنا الإسلامية يواجهون الآن هذا السلاح الخطير في كل مكان.

فالسجون والمعتقلات تعج بالمؤمنين الأحرار في كل بلاد الإسلام ولا نكاد نستثني بلداً.. والسبب في ذلك معارضة هؤلاء المؤمنين لسياسة التبعية والفساد والانحراف عن الدين ودعوتهم إلى الحرية والاستقلال وتطبيق شريعة الله في المجتمع.. ولم يجد الحكام المتسلطون على الأمة منطقاً للتعامل مع هؤلاء الأحرار إلا القمع والإرهاب فساقوهم إلى السجون وأذاقوهم ويلات التعذيب والتنكيل..

إن الطغاة يستهدفون من اعتقال المؤمنين المجاهدين وتعذيبهم و سحق معنوياتهم الرفيعة وإنزال الهزيمة بنفوسهم وتعطيل نشاطهم الرسالي وتخويف الناس من السير في خط الجهاد والثورة.

فكيف نسقط سلاح الاعتقال من أيدي الطغاة؟

وكيف يتحول السجن إلى مدرسة للبطولة والصمود؟

وما هو برنامج المؤمن السجين للاستفادة من فترة اعتقاله؟

في حياة الإمام الكاظم(عليه السلام) نجد الكثير من التعليمات والمواقف التي يمكن أن نستوحي منها إجابة مفيدة على التساؤلات السابقة.

فقد عاش الإمام فترة من حياته الشريفة في غياهب السجون وعانى ألوان الإهانة والتنكيل حتى نال الشهادة في قعر سجن مظلم.

فكيف واجه الإمام عناء السجون؟

وكيف كان برنامجه ومواقفه؟

وما هي تعليماته وتوجيهاته؟

هذا ما نسعى للإجابة عليه عبر صفحات هذا الكتاب .

عسى الله أن يوفقنا للصواب، وأن يتقبل هذا الجهد المتواضع بأحسن القبول، وأن يمن على المسلمين بالحرية والاستقلال، ويفرج عن جميع المؤمنين المعتقلين..

المؤلف

١٤٠٥/٧/١٨هـ

سطور من حياة الإمام

هو الإمام السابع من أئمة المسلمين موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام).

أم الإمام:

أمه (حميدة) وهي جارية اشتراها الإمام الباقر ووهبها لولده الإمام الصادق فولدت له الإمام موسى الكاظم (عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام).

وتصف الروايات والأحاديث هذه السيدة الكريمة بأفضل صفات الكمال فقد مدحها الإمام الصادق (عليه السلام) بقول:[حميدة مصفاة من الأدناس كسبيكة الذهب ما زالت الأملاك تحرسها حتى أدّيت إلى كرامة من الله وللحجة من بعدي](1)

وغذاها الإمام الصادق (عليه السلام) بعلومه وعهد إليها بتفقيه نساء المسلمين وتعليمهم الأحكام الشرعية(2).

ميلاده:

ولد (عليه السلام) سنة ١٢٨هـ وقيل ١٢٩هـ في قرية "الأبواء" عن المدينة المنورة وهي القرية التي بها قبر أم رسول الله صلى الله عليه وآله آمنة بنت وهب (عليها السلام). حيث كان الإمام الصادق عائداً من أداء مناسك الحج.

وتقول الروايات أن حميدة لما أحست بالطلق أرسلت من يخبر الإمام الصادق بذلك وكان يتناول الغذاء مع أصحابه فلما وافاه الخبر قام مبادراً ثم عاد إلى أصحابه فرحاً وهو يقول:[لقد وهب الله لي غلاماً وهو خير من برأ الله فدونكم فو الله هو صاحبكم](3)

إمامته:

استشهد أبوه الإمام الصادق مسموماً على يد المنصور العباسي سنة ١٤٨هـ فتولى الإمام الكاظم أعباء الإمامة وعمره ٢٠ سنة بنص من أبيه تكرر في عدة مواقف منها قوله للمفضل بن عمر لما سأله قائلاً: يا سيدي لو عهدت إلينا في الخلف من بعدك ؟ أجاب (عليه السلام): يا مفضل الإمام من بعدي ابني موسى.

وعن داود بن كثير قلت لأبي عبد الله الصادق (عليه السلام): جعلت فداك وقدمني للموت قبلك إن كان كون فإلى من ؟

---

(1) البحار ج٤٨ ص٦.

(2) حياة الإمام موسى بن جعفر ج١ ص ٤٣.

(3) حياة الإمام موسى بن جعفر ج١ ص٤٤.

قال: إلى ابني موسى .

يقول داود: فكان ذلك الكون فو الله ما شككت في موسى طرفة عين قط[٥].

عبادته:

كلما ازدادت خشيته منه.

{إنما يخشى الله من عباده العلماء}.

وكلما طابت سريرته وطهر قلبه بالابتعاد عن المآثم والشهوات عظم شوقه إلى الله ورغبته في عبادته.

وكان الإمام الكاظم مثلاً أعلى وقمة سامقة في عبادة الله والخضوع له فصلاته خاشعة ونوافله متواصلة ومناجاته يصحبها البكاء والدموع الغزيرة.

وأنى لنا أن ندرك مدى الشوق الإلهي الذي يلتهب في نفس الإمام وهو

يقضى ليلة كاملة في سجود واحد تمتزج فيه كلمات التسبيح بزفرات

الخشوع فقد روى انه دخل مسجد النبي صلى الله عليه وآله في أول الليل فسجد سجدة واحدة صار يردد فيها :(عظم الذنب من عبدك فليحسن العفو من عندك يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة).

واستمر في مناجاته وبكائه ساجداً حتى طلع الفجر.

وقال هشام بن أحمر: كنت أسير مع أبى الحسن الكاظم في بعض طرق المدينة غذ ثنى رجله عن دابته وخر ساجدا فأطال وأطال ثم رفع رأسه وركب دابته. فقلت جعلت قد أطلت السجود؟

فقال: إني ذكرت نعمة أنعم الله بها على فأحببت أن أشكر ربى[٦].

أما القرآن الحكيم فكانت للإمام به علاقة مميزة فقد كان الرفيق الدائم للإمام، وكان من أحسن الناس صوتاً به.. ولإخلاصه وخشوع نبرته في تلاوة القرآن كان يؤثر في سمعيه فيتفاعلون ويبكون لتلاوته.

وحدث حفص عن كيفية تلاوته فقال:

(كانت قراءته حزناً ف'ذا قرأ فكأنه يخاطب إنساناً، وكان يبكى من خشية الله حتى تخضل كريمته الشريفة من دموع عينيه)[٧].

جوده وسخاؤه:

حينما يتسامى الإنسان على المادة فلن يبخل بها، وحينما يخلص لربه فسيتحسس الآم عباد الله المحرومين والمحتاجين.. من هنا يكون السخاء والكرم والعطف على الفقراء من السمات الأساسية في شخصيات الأولياء الصالحين ..

---

(5) البحار ج٤٨ ص١٤ -١٥.

(6) أئمتنا – دخيل ج٢ ص١٣.

(7)حياة الإمام موسى بن جعفر ج٢ ص١٤٨.

وقد تجلت هذه الصفة بأروع صورها في حياة الإمام الكاظم حيث كان يتفقد أحوال الفقراء والمساكين في غلس الليل البهيم ويصل إليهم ما يحتاجون من نفقات على شكل صرار تتراوح كل واحدة منها ما بين المائتين والأربعمائة دينار وكان يُضرب المثل بتلك الصرار حتى قيل:

(عجباً ممن صرار موسى وهو يشتكي القلة والفقر).

وأذ بلغه عن شخص يؤذيه ويسئ إليه بعث إليه بصرة فيها ألف دينار!!

وقد قامت هباته السرية وصلاته الخفية بإعاشة فقراء يثرب فكانوا جميعاً يرتعون بنعمته ويعيشون من عطاياه[٨].

حلمه و أخلاقه:

القلب المتجه إلى الله والنفس المتطلعة نحو الأهداف المقدسة الكبيرة لا مجال

فيها للحقد أو التحامل على أحد من البشر، وحتى لو حاول بعض السيئين انتزاع شئ من اهتمام هذه النفس المؤمنة بإساءته وأذاه فإنها ترفض النزول إلى هذا المستوى التافه من الانشغالات وتتسامى في آفاق الحلم والصفح وكظم الغيظ.

وهكذا كان الإمام الكاظم (عليه السلام) حتى لقد تحولت هذه الصفة في شخصيته إلى لقب رسمي له(الكاظم) بمعنى احتمال الألم وعدم إبداء الغيظ والغضب يقول ابن الأثير:

(إنه عرف بهذا اللقب لصبره، ودماثة خلقه، ومقابلته الشر بالإحسان).

وقد ذكر المؤرخون بوادر كثيرة من حلمه وعفوه منها:

إن شخصاً من أحفاد عمر بن الخطاب كان يسئ للإمام ويكيل السب والشتم لجده أمير المؤمنين على فأراد بعض شيعة الإمام اغتياله فنهاهم عن ذلك، ورأى أن يتعامل معه بطريقة أخرى.. فسال عن مكانه؟ فقيل: إنه يزرع في بعض نواحي المدينة.فركب (عليه السلام) بغلته ومضى إليه فوجده في مزرعته..

وحينما لاحظ ذلك الرجل دخول الإمام إلى مزرعته ثارت أحقاده فصاح: لا تطأ زرعنا..

ولكن الإمام واصل طريقه حتى سلم عليه ثم جلس يحادثه بأطيب الحديث ويلاطفه وسأله:

كم غرمت في زرعك هذا؟

العمرى: مائة دينار.

الإمام كم ترجو أن تصيب منه؟

العمري:أنا لا أعلم الغيب!

---

(8) حياة الإمام موسى بن جعفر ج١ ص١٥٠.

الإمام: إنما قلت لك: كم ترجو أن يجيئك منه ؟

العمري: أرجو أن يجيئني منه مائتا دينار!

فأعطاه الإمام ثلاثمائة ديناراً وقال: هذه لك وزرعك على حاله. وانصرف الإمام عنه فأعاد الرجل النظر في موقفه من الإمام وطريقة تعامله معه وقرر الاعتذار من الإمام فأسرع إلى المسجد فلما دخل الإمام قام الرجل معتذراً وهو يردد قوله تعالى: {الله أعلم حيث يجعل رسالته}.

وخلق الإمام هذا تطبيق لقوله تعالى:

{ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم}.

ومن آيات حلمه أنه اجتاز على جماعة من حساده وأعدائه وكان فيهم (ابن هياج) فأمر بعض اتباعه أن يتعلق بلجام بغلة الإمام ويدعيها فمضى الرجل إلى الإمام وتعلق بزمام بغلته فادعاها له فعرف الإمام غايته فنزل عن بغلته وأعطاها له[٩].

توجيهات الإمام:

كسائر الأئمة المعصومين كان الإمام الكاظم (عليه السلام) يبث معارف الإسلام في الأمة، ويغذيها بتوجيهاته القيمة في أمور الدين والدنيا..

ورغم الظروف القاسية التي عاشها الإمام وسعى السلطات الحاكمة لمنع توجيهات أهل البيت من الانتشار..

إلا أن ما وصلنا من كلام الإمام وتوجيهاته يشكل رصيداً كبيراً من المعرفة وكنزاً ثرياً من الحكمة..

ومن روائع حكم الإمام وتوجيهاته وصيته الطويلة إلى تلميذه الخاص هشام بن الحكم رضوان الله عليه ونقتطف منها الفقرات التالية:

(يا هشام: إن لكل شئ دليلاً، ودليل العقل التفكر، ودليل التفكر الصمت، ولكل شئ مطيّة ومطيّة العقل التواضع وكفى بك جهلاً أن تركب ما نهيت عنه.

(يا هشام: ما بعث الله أنبيائه ورسله إلى عباده إلا ليعلقوا عن الله فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة، أعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً، وأكملهم عقلاً ارفعهم درجة في الدنيا والآخرة.

(يا هشام: إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة وأما الباطنة فالعقول.

(يا هشام: إن العاقل نظر إلى الدنيا وأهلها فعلم أنها لا تنال إلا بالمشقة، ونظر إلى الآخرة فعلم أنها لا تنال إلا بالمشقة فطلب بالمشقة أبقاهما.

(يا هشام:إن العاقل لا يكذب وإن كان في هواه.

---

(9) حياة الإمام موسى بن جعفر ج١ ص١٥٧.

(يا هشام: لا دين لمن لا مروءة له ولا مروءة لمن لا عقل له، وإن اعظم الناس قدراً الذي لا يرى الدنيا لنفسه خطراً، إلا أن أبدانكم ليس لها ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها بغيرها.

(يا هشام: من كف نفسه عن أعراض الناس أقاله الله من عثرته يوم القيامة ومن كف غضبه عن الناس كف الله عنه غضبه يوم القيامة.

(يا هشام: بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين يطرى أخاه إذا شاهده، ويأكله إذا غاب عنه إن أعطى حسده، وإن ابتلى خذله إن أسرع الخير ثواباً البر وأسرع الشر عقوبة البغي، وإن شر عباد الله من تكره مجالسته لفحشه، وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

(يا هشام:قال الله عز و جل: و عزتي وجلالى وعظمتي وقدرتي وبهائي وعلوي في مكاني لا يؤثر عبد هواي على هواه إلا جعلت الغنى في نفسه وهمه في أخرته، وكفت عليه في ضيعته، وضمنت السماوات والأرض رزقه، وكنت له من مراء تجارة كل تاجر.

(يا هشام: اصبر على طاعة الله، واصبر عن معاصي الله ، فإنما الدنيا ساعة، فما مضى منها فليس تجد له سروراً ولا حزناً وما لم يأت منها فليس تعرفه فاصبر على تلك الساعة التي أنت فيها فكأنك قد اغتبطت.

(يا هشام: ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فإن عمل حسناً استزاد منه وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب غليه.

(يا هشام: أوحى الله تعالى غلى داود (عليه السلام) قل لعبادي: لا يجعلوا بيني وبينهم عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدهم عن ذكرى، وعن طريق محبتي ومناجاتي أولئك قطاع الطريق من عبادي، إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة محبتي ومناجاتي من قلوبهم.

(يا هشام: من أحب الدنيا ذهب خوف الآخرة من قلبه وما أوتى عبد علماً فزداد لدنيا حباً إلا ازداد من الله بعداً، وازداد الله عليه غضباً)[١٠].

---

(10) تحف العقول ص ٢٨٣.

الظروف السياسية

ولـد الإمـام الكـاظم (عليـه السـلام) في عهـد مـروان بـن محمـد الأمـوي المشـهور بالحمـار والـذي تـولى السـلطة سـنة ١٢٧هـ وهـو آخـر الحكـام الأمـويين حيـث قتـل سـنة ١٣٢هـ على يد العباسيين وبه أنتهي الحكم الأموي وتسلط على الأمة بنو العباس.

وبذلك عاش الإمـام أربـع سـنوات في ظل الحكـم الأمـوي ولكنهـا كانـت سـنوات الغليان الثوري والنقمة الشعبية العارمة ضد الأمويين.

وسـرق العباسيون ثورة الأمة وتولوا الحكـم تحـت شـعار (إلى الرضـا مـن آل محمـد) وكـان أول حـاكم عباسـي هو أبو العباس السفاح والـذي دخـل الكوفـة حاكمـاً في ١٢ ربيـع الأول سـنة ١٣٢هـ واشـتغل طـوال فـترة حكمـه بتصـفية الأمـويين وإرسـاء دعـائم الحكم الجديد وغفل عن العلويين لضعف سلتطه آنذاك ولأن الحكم قد قـام باسمهم ولاستمالتهم وإرضائهم وقد توفى بتاريخ ١٢ ذي الحجة سنة ١٣٦هـ.

وتولى السلطة بعده وبوصية منه أخوه أبو جعفر المنصـور وفـى عهـده اتضـحت معـالم

السياسة العباسية للناس والتي لم تكن تختلف عن سياسة الأمويين فهي قائمة على أساس الحكم الوراثي والاستبداد والظلم والفساد واغتصاب الأمر من أصحابه الشرعيين أهل البيت (عليهم السلام).

وبينما استغل الإمام الصادق (عليه السلام) فترة نهاية الحكم الأموي وبداية الحكم العباسي في نشر العلوم والمعارف الإسلامية وآلتي طمست وأصابها التحريف والتشويه بواسطة أدعياء الدين الملتفين حول السلطة وفي تربية الكوادر والعناصر المؤمنة الملتزمة الواعية بحقيقة الدين.. وكان للإمام الكاظم دور كبير في هذا المجال منذ حداثة سنّه.

في نفس الوقت كان بعض الثوار العلويين ممن شاركوا في صنع الثورة وإنجاحها يعملون ضد سرقة العباسيين للثورة وممارستهم لسياسة ظالمة منحرفة عن الإسلام وبالطبع لم تكن هذه الثورات بعيدة عن توجيهات الأمة بل كانوا يرعونها سراً..

وعرف المنصور العباسي توجهات العلويين ضد حكمه فبدأ يمارس معهم سياسة البطش والإرهاب والقمع والحرمان مما زاد في نقمتهم وسخطهم .

واندلعت الثورات العلوية ضد العباسيين وكان أولها ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن المسمى(ذي النفس الركية) والذي كان من المفروض أن يستلم الحكم بعد الأموين لأن الهاشميين قد بايعوه بالخلافة لذلك لم يعترف بالحكم العباسي ولم يبايع للسفاح ولا للمنصور من بعده. وحينما تصاعد الجور والاضطهاد العباسي للعلويين أعلن الثورة ضدهم وسطر على المدينة سنة ١٤٥هـ فأرسل المنصور جيشا ضخماً يتكون من فرقتين الأولى بقيادة عيسى بن موسى وفيها (٤٠٠٠) فارس والثانية بقيادة حميد بن قحطبة وفيها (٥٠٠٠) فارس وحاصر الجيش العباسي المدينة وقمعوا الثورة وقتل قادتها ونال أهل المدينة من بطش الجيش العباسي الشيء لكثير[11] .

تلتها ثورة إبراهيم بن عبد الله العلوي في البصرة في ذات السنة وكان مصيرها نفس مصير الثورة السابقة.

وبالطبع لم يقتصر القمع العباسي على الثوار العلويين بل امتد ليشمل كل العلويين وأتباعهم حتى الذين لم يشتركوا في الثورة مباشرة وهكذا بدأت الضغوط تتوالى على الإمام الصادق (عليه السلام) من قبل السلطة العباسية والتي كانت تعتقد بأنه محرك العلويين وباعث روح الثورة في نفوس الأمة .

فأمر المنصور عامله على المدينة أن ينهى حياة الإمام الصادق بشكل غير واضح فدس له سماً قطع أمعاء الإمام والتحق بالرفيق الأعلى سنة ١٤٨هـ.

وآلت الإمامة إلى الإمام الكاظم (عليه السلام) وكان عمره الشريف عشرين سنة.

وظل الإمام يمارس مسؤولياته بعد أبيه بحذر وحكمة حتى هلك المنصور في ذي

---

(11) جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول ص ١٤٢.

الحجة سنة ١٥٨هـ بعد ٢٢ سنة من الحكم الموغل في الظلم والإرهاب.

وعهد بالأمر لولده المهدى والذي بدأ خلافته بإصدار عفو عن جميع المعتقلين السياسيين ورد الأموال المصادرة من قبل أبيه إلى أهلها بما في ذلك الأموال التي صادرها المنصور من الإمام الصادق فقد ردها المهدى إلى الإمام الكاظم (عليه السلام) .

كان المهدى ماجناً خليعاً اشتغل باللهو والغناء والجواري والبذخ .. وقد استمر في الحكم إحدى عشر سنة ١٥٨هـ إلى ١٦٩هـ وعزم مرة على اعتقال الإمام الكاظم حينما رأى اتساع نشاطه والتفاف الأمة حوله فجلبه من المدينة إلى عاصمته بغداد ولكنه أطلق سراحه على أثر رؤيا رآها في المنام كما سيأتي تفصيل ذلك.

وحكم بعده ولده موسى الهادي بوصية منه وكان شاباً يبلغ من العمر ٢٥ سنة وكان ماجناً طائشاً وهو أول خليفة عباسي أولع بشرب الخمر وكان مبغضاً لأهل البيت(عليهم السلام) حاقداً عليهم ومن بداية حكمه أعلن ضدهم القمع والشدة فتفجرت الثورة العلوية العظيمة بقيادة الحسين بن علي حفيد الإمام الحسن السبط(عليه السلام) في سنة ١٦٩هـ وآلتي انتهت بمقتله مع أصحابه في واقعة (فخ) المشهورة.

وحينما أراد الحسين شهيد فخ الخروج ودعه الإمام الكاظم (عليه السلام) بقوله:

[إنك مقتول فاحدّ الضراب فإن القوم فساق يظهرون إيماناً ويضمرون نفاقاً وشركاً ،فإنا لله وإنا إليه راجعون وعند الله احتسبكم من عصبة][١٢] .

وتوضح هذه الكلمات موقف الإمام من السلطة ومن الثورة العلوية.

وحينما قتل الحسين وأكثر أصحابه حزت رؤوسهم وحملت إلى الخليفة العباسي ودفن الجيش العباسي قتلاهم بينما تركوا جثث أهل البيت وأصحابهم مجزرين كالأضاحي.. وأبرد برؤوسهم إلى موسى بن عيسى وكان في مجلسه جماعة من العلويين في طليعتهم الإمام موسى (عليه السلام) فلما رأى الإمام رؤوس الثائرين من أهل البيت اندفع يؤبن الحسين الشهيد قائلاً:

[إنا لله وإنا إليه راجعون مضى والله مسلماً صالحاً صواماً قواماً ،آمراً بالمعروف،ناهياً عن المنكر،ما كان في أهل بيته مثله][١٣] .

وكانت السلطة العباسية تعرف موقف الإمام موسى المؤيد للثورة دون أن تمتلك أي مستمسك يدين الإمام بوضوح ولذلك لما سمع الخليفة الهادي العباسي عن أخبار الثورة وجه اتهامه فوراً إلى الإمام موسى الكاظم مهدداً له بالقتل حيث قال:

[والله ما خرج حسين إلا عن أمره،ولا اتبع محبته لأنه صاحب الوصية في أهل

---

(12) حياة الإمام موسى بن جعفر ج١ ص ٤٦٨.

(13) حياة الإمام موسى بن جعفر ج١ ص ٤٧٠.

البيت قتلني الله إن أبقيت عليه].

وأضاف يقول في تهديده:

[ولولا ما سمعت من المهدى فيما اخبر به المنصور ما كان به جعفر – يعنى الإمام الصادق – من الفضل المبرز عن أهله في دينه وعمله وفضله وما بلغني من السفاح فيه من تعريضه وتفضيله لنبشت قبره وأحرقته بالنار إحراقاً].

وكان في مجلسه القاضي أبو يوسف فانبرى إليه قائلاً :

(نساؤه طوالق، وعتق جميع ما يملك من الرقيق، وتصدق بجميع مال يملك من المال ،وحبس دوابه، وعليه المشي إلى بيت اله، إن كان مذهب موسى بن جعفر الخروج، ولا يذهب إليه، ولا مذهب أحد من ولده ولا ينبغي أن يكون هذا منهم).

ولكن الأنباء تناقلت تهديده الشديد مما سبب القلق والاضطراب في نفوس العلويين واتباعهم خوفاً على حياة الإمام واقترحوا على الإمام أن يختفي من وجه الطاغية فتبسم الإمام موسى وتمثل بقول كعب بن مالك:

زعمت سخينة أن ستغلب ربها وليغلبن مغالب الغلاب

ويقول الآخر:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً أبشر بطول سلامة يا مربع

واتجه الإمام نحو القبلة وأخذ يتضرع إلى الله ويتوسل إليه لينجيه من شر الطاغية.

والتفت الإمام موسى (عليه السلام) بعد الدعاء إلى أصحابه قائلاً:

[ليفرج روعكم فإنه لا يأتي أول كتاب من العراق إلا بموت موسى الهادي].

فقالوا جميعاً: (وما ذاك أصلحك الله؟).

قال (عليه السلام):

[وحرمة صاحب هذا القبر – مشيراً إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله – قد مات موسى الهادي من يومه هذا ، والله أنه لحق مثل ما أنكم تنطقون][١٤].

فكان كما أخبر (عليه السلام).

وهلك موسى الهادي سنة ١٧٠هـ في شهر ربيع الأول بعد سنة شهرين تقريباً من توليه السلطة.

وتولى بعده السلطة أخوه هارون الرشيد العباسي بنص من أبيهما ومارس ضد العلويين وشيعتهم سياسة القمع والإرهاب واقسم مرة على استئصالهم فقال:

(والله لأقتلنهم – أي العلويين – ولأقتلن شيعتهم).

أرسل طائفة كبيرة منهم إلى ساحات الإعدام ودفن قسماً منهم وهم أحياء وأودع الكثيرين منهم في ظلمات السجون.. واصدر مرسوماً يقضى بإخراج العلويين فوراً من بغداد إلى يثرب.. وأمر بهدم مرقد الحسين (عليه السلام) حينما رأى تهافت الشيعة على زيارته وهدم الدور المجاورة له وأمر بحرث ارض كربلاء ليمحو بذلك كل أثر

---

(14) حياة الإمام موسى بن جعفر ج١ ص ٤٧٢ -٤٨٢.

للقبر الشريف.

كما أعدم الرشيد جماعة من زعماء العلويين وشخصيات أهل البيت منهم عبد الله بن الحسن أبى على بن الإمام زين العابدين (عليه السلام)، والعباس بن محمد بن عبد الله بن الإمام زين العابدين (عليه السلام)، وإدريس بن الحسن السبط (عليه السلام)، ويحي بن عبد الله بن الإمام الحسن السبط (عليه السلام)، ومحمد بن يحي ابن عبد الله بن الإمام الحسن السبط (عليه السلام)، والحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، وإسحاق بن الحسن بن زيد بن الإمام الحسن السبط (عليه السلام) [15].

الدور القيادي

هناك ظاهرة مهمة تتميز بها حياة الإمام الكاظم (عليه السلام) عن حياة بقية الأئمة المعصومين (عليهم السلام) هي شدة المعاناة التي واجهها الإمام من حكام

---

(15) حياة الإمام موسى بن جعفر ج٢ ص٨٦.

عصره.. فيما عدا استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) بتلك الصورة الفظيعة لم يحدث لأحد من الأئمة ما حصل للإمام الكاظم من المآسي والآلام فقد قضى فترة طويلة من عمره في السجن وهدد بالقتل أكثر من مرة وعانى من التعذيب والتنكيل واستشهد غريباً في أعماق السجون ثم جرى على جثمانه الشريف بعد استشهاده من الإهانة وتأخير التجهيز ما لم يحدث لسوى جده الإمام الحسين (عليه السلام).

فلماذا تعاملت السلطات مع الإمام الكاظم بهذه القسوة العجيبة؟

حينما يقرأ الإنسان حياة الإمام الكاظم (عليه السلام) يرى بوضوح كيف أن الحركة الرسالية وصلت في عهده إلى درجة من القوة والنضج والتوسع بحيث أصبحت تشكل خطراً حقيقياً وجدياً على السلطة ومن مظاهر هذه القوة ما يلي:

أولاً: تغلغل الحركة داخل النظام:

فبخطة الإمام الحكيمة وبانضباط كوادر الحركة والتزامهم بأقصى درجات السرية والكتمان استطاع الإمام أن يزرع بعض تلامذته وأتباعه الثقات في أهم أجهزة الدولة.. كعلي بن يقطين والذي ولد بالكوفة سنة ١٢٤هـ وكان أبوه موالياً لأهل البيت وعلى صلة بالعباسيين فقد تقلد ابن يقطين منصب (أزمة الأزمة) أي إدارة الأمور في عهد المهدى ومن بعده عينه هارون وزيراً له وقد استأذن الإمام في ترك منصبه فأجابه الإمام:

(لا تفعل فإن لنا بك انساً، ولإخوانك بك عزا وعسى الله أن يجبر بك كسيراً أو يكسر بك نائرة المخالفين عن أوليائه.

يا علي: كفارة أعمالكم الإحسان إلى إخوانكم ، اضمن لي واحدة أضمن لك ثلاثاً، اضمن لي أن لا تلقى أحداً من أوليائنا إلا قضيت حاجته وأكرمته، واضمن لك أن لا يظلك سقف سجن أبداً ، ولا ينالك حد سيف أبداً، ولا يدخل الفقر بيتك أبداً.

(يا علي من سر مؤمناً فبالله بدأ و بالنبي ثنّى وبنا ثلث).

ومرة أخرى ضاق صدر بن يقطين من معايشته لفساد السلطة وانحرافها فشكا إلى الإمام وطلب منه الرخصة في ترك منصبه فنهاه الإمام قائلاً:

(يا علي إن لله تعالى أولياء مع أولياء الظلمة ليدفع بهم عن أوليائه وأنت منهم يا علي).

وكان الإمام حريصاً على سلامة ابن يقطين واحتفاظه بموقعه وتوجيهه إلى تجنب أي عمل يسبب انكشافه أمام السلطة..

فمرة أهدى الرشيد لعلي بن يقطين ثياباً كانت فيها دراعة فاخرة سوداء منسوجة بالذهب يلبسها الخلفاءبن يقطين إلى إرسالها للإمام على يد أحد غلمانه وأخذها الإمام من الغلام ثم ردها إلى ابن يقطين على يد رسول أخر مع كتاب قال فيه:

(احتفظ بها ولا تخرجها عنك فسيكون لك بها شأن تحتاج معه إليها).

وصادف أن غضب على بن يقطين على ذلك الغلام الذي أرسل معه الهدية فسارع الغلام للانتقام منه بإفشاء أسرار علاقة ابن يقطين مع الإمام وكانت الدراعة خير

مستمسك لكلامه حيث قال للرشيد:

(إن على بن يقطين يقول بإمامة موسى الكاظم ، وأنه يحمل إليه كل سنة زكاة أمواله والهدايا والتحف وقد حمل إليه في هذه السنة ذلك مع الدراعة السوداء التي أكرمته بها في وقت كذا).

فكان هذا الكلام صدمة لهارون فقال وقد استولى عليه الغضب:

(لأكشفن عن ذلك فإن كان الأمر على ما ذكرت أزهقت روحه وذلك من بعض جزائه).

وطلب من ابن يقطين فورا فلما مثل عنده سأله:

(ما فعلت بالدرعة السوداء التي كسوتك بها وخصصتك بها من بين سائر خواصى؟).

على: هي عندي يا أمير المؤمنين، في سفط طيب مختوم عليها.

الرشيد: أحضرها الساعة.

على: نعم على السمع والطاعة.

وأمر بعض خدمه أن يأتي بها من المكان المعين فأحضرها فوراً فلما نظر إليها الرشيد سكن غضبه وهدأت ثورته وقال:

(ردها إلى مكانها ، وخذها وانصرف راشداً فلن نصدق بعدها عليك ساعياً).

ثم أمر له بجائزة وأن يضرب الغلام الساعي ألف سوط فضرب حتى خمسمائة سوط وهلك.

وبقى في منصبه يخدم حركته الرسالية حتى اختاره الله إليه سنة ١٨٢هـ وعمره "٥٧"سنة وكان الإمام لا يزال في ظالمات السجون[16].

وبعض الأقاليم كان يحكمها تلامذة الإمام فمنطقة (ري) الكبيرة والمشهورة كن واليها من اتباع الإمام.

تقول الرواية التاريخية أن شخصا من أهالي الري كانت عليه أموال طائلة لحكومة الري فلم يتمكن من أدائها وعلم أن الوالي من اتباع الإمام موسى بن جعفر فسعى لملاقاته في الحج وطلب منه التوسط له لإلغاء ما عليه من ديون فكتب له الإمام رسالة إلى والى(ري) جاء فيها بعد البسملة:

(اعلم أن اله تحت عرشه ظلاً لا يسكنه إلا من أسدى إلى أخيه معروفاً،أو نفس عنه كربة،أو أدخل على قلبه سروراً،وهذا أخوك والسلام).

فلما سلم الرسالة إلى الوالي قبلها وقام تكريماً لها واستجاب لطلب الإمام بإعفاء الرجل من الديون بل وأعطاه من ماله الشيء الكثير[17].

16 حياة الإمام موسى بن جعفر ج٢ ص٢٨٤.

17 حياة الإمام موسى بن جعفر ج١ ص١٦١..

ثانيا: الكوادر الناضجة:

فببركة مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) وآلتي كانت تضم زهاء أربعة آلاف طالب.. وبالجهود التي بذلها الإمام الكاظم توفرت للحركة الرسالية في عهد الإمام مجموعة كبيرة من الكوادر الناضجة في مختلف المجالات حتى أحصى الشيخ القرشي حفظه الله في كتابه القيم (حياة الإمام موسى بن جعفر) أكثر من ثلاثمائة شخص من تلامذة الإمام أغلبهم كان في مستوى عظيم من الفضل والنضج..

ثالثا: السرية والكتمان:

والحركة التي تتحلى بهذه الصفة تستعصي على ضربات السلطة وتمتلك زمام المبادرة وقد استفاد أتباع أهل البيت من تجاربهم السابقة في الصراع مع السلطات الظالمة فأصبحوا في عهد الإمام الكاظم (عليه السلام) ملتزمين بأقصى درجات السرية والكتمان وكانت جهود السلطة تفشل غالبا في اكتشاف أسرار هذا التحرك وأفراده ونشاطاته.

فمحمد بن عمير رضوان الله عليه كان أحد خاصة الإمام ولديه السجل العام الذي فيه أسماء شيعة الإمام فاعتقلته السلطات وبقى في السجون سبعة عشر عاماً وجئ به وهو مكبل بالقيود إلى هارون الذي طلب منه تسلي والاعتراف بالأسماء التي فيه! ولكن رفض أنكر فأمر بضربه مائة سوط وبلغ به الألم القاسي مبلغا عظيما يول: فكدت أن أسمي واعترف إلا إني سمعت نداء سجين آخر هو يونس بن عبد الرحمن يقول لي: يا محمد بن عمير اذكر موقفك بين يدي الله ، فتقويت بقوله وصبرت ولم اخبر والحمد لله[18].

وتأكيدا على ضرورة الكتمان والصمود أمام تعذيب السلطة وعدم الاعتراف بشيء من أسرار التحرك يوصى الإمام أحد أصحابه وهو (صالح بن وافد الطبري) فيقول له:

(يا صالح انه يدعوك الطاغية فيحبسك في حبسه ويسألك عنى فقل: إني لا أعرفه)[19].

رابعاً: الأموال الطائلة:

فخطة السلطات محاصرة المعارضين اقتصادياً حتى لا يتمكنوا من تنفيذ أعمالهم ومشاريعهم.

ويروى أن هارون الرشيد في إحدى رحلاته للحج استقبل الإمام الكاظم بحفاوة بالغة ولكنه حين وزع الهدايا والهبات على شخصيات المدينة أعطى للإمام أقل مما أعطى الآخرين فتعجب ولده المأمون من ذلك وسال أباه قائلاً:(يا أمير المؤمنين تعطى أبناء المهاجرين والأنصار، وسائر قريش وبنى هاشم، ومن لا يعرف نسبة خمسة آلاف

---

(18) حياة الإمام موسى بن جعفر ج٢ ص٣٠١.

(19) التاريخ الإسلامي دروس وعبر ص٣٢٨

دينار وتعطى موسى بن جعفر وقد عظمته وأجللته مائتي دينار أخس عطية أعطيتها أحداً من الناس).

فأجابه هارون موضحاً سياسته الماكرة: (اسكت لا أم لك ن فأنى لو أعطيت هذا ما ضمنته له ما كنت آمنة أن يضرب وجهي بمائة ألف سيف من شيعته ومواليه وفقر هذا وأهل بيته أسلم لي ولك من بسط أيديهم).

ولكن أهل البيت (عليهم السلام) كانوا ربّوا أتباعهم على دفع الأخماس والحقوق الشرعية إليهم ومنها كانوا يموّلون نشاطات الثورة والتغيير.. وفى عهد الإمام الكاظم ولسعة رقعة المؤيدين له كانت تأتى للإمام أموال طائلة فينفقها على نشاطاته واتباعه.

وهناك شواهد تاريخية عديدة على كثرة الأموال التي كانت تصل للإمام ويكفى أن نعرف أن بعض وكلاء الإمام الذين اعتمدهم لاستلام الحقوق وتوزيعها فترة سجنه قد طمعوا فيما جمعوا من الحقوق وانحرفوا عن خط الإمام الرضا (عليه السلام) ويطلق عليهم (الواقفة) أي الذين وقفوا على إمامته وأنكروا موته..

يقول يونس بن عبد الرحمن: مات موسى بن جعفر وليس من قوّامه أحد إلا وعنده المال الكثير، وكان **ذلك** سبب وقفهم وجحدهم موته، طمعاً في الأموال، كان عند زياد بن مروان اقندي سبعون ألف دينار، وعند على بن أبى حمزة ثلاثون ألف دينار[٢٠].

خامساً: التأييد الجماهيري الواسع:

فلم يعد الولاء لأهل البيت (عليهم السلام) مقتصراً على الحجاز والعراق بل اتسعت رقعته إلى إيران ومصر والمغرب وسائر البقاع .

هذه بعض المظاهر التي تدل على نضج وقوة الحركة الرسالية بقيادة الإمام (عليه السلام) حتى لكأنها دولة داخل الدولة الرسمية الظاهرية مما جعل السلطة تستشعر الخطر الجدي والحقيقي من إمكانية استلام هذه الحركة لازمة الحكم أي وقت تشاء ويعبر عن هذا القلق لدى السلطة ما قاله أحد عملائها للرشيد: ما ظننت أن في الأرض خليفتين حتى رأيت موسى بن جعفر يسلم عليه بالخلافة، وأن الأموال تحمل إليه من المشرق والمغرب!!.

وهناك بعض الروايات تشير إلى أن الإمام الكاظم كان مهيئاً ومعداً لإعلان الثورة واستلام الحكم فيكون القائم من آل محمد بالأمر لولا حدوث بعض الأخطاء في صفوف الحركة مكّن السلطة من إجهاض التحرك واعتقال الإمام وقتله.

فعن أبى حمزة الثمالى قال: قلت لأبى جعفر (عليه السلام): إن علياً (عليه السلام) كان يقول: [إلى السبعين بلاء وبعد البلاء رخاء]. وقد مضت السبعون ولم نر رخاءً !!

فقال أبو جعفر (عليه السلام):

[يا ثابت إن الله تعالى كان وقت هذا الأمر (أي قيام الحكم الإسلامي الصحيح

---

(20) البحار ج٤٨ ص٢٥٢

) في السبعين فلما قتل الحسين اشتد غضب الله على الأرض، فأخره إلى أربعين ومائة سنة، فحدثناكم فأذعتم الحديث وكشفتم قناع السر فأخرّه الله ولم يجعل له بعد ذلك وقتاً عندنا ويمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب](٢١).

عن داود الرقى قال:ما يلج في صدري من أمرك شئ إلا حديثاً سمعته من ذريح يرويه عن أبى جعفر (عليه السلام) !

قال لي: وما هو؟

قلت: سمعته يقول: سابعنا (أي الإمام الكاظم) قائمنا إن شاء الله. قال: صدقت وصدق ذريح وصدق أبو جعفر.

قال: فازددت والله شكاً.

ثم قال لي: يا داود أما والله لولا أن موسى قال للعالم :(ستجدني إن شاء اله صابراً) ما سأله عن شئ. وكذلك أبو جعفر (عليه السلام) لولا إن قال إن شاء الله لكان كما قال فقطعت عليه(٢٢).

هذا المستوى الذي وصلت غليه حركة الإمام من استعدادها وتهيئتها للانقضاض على سلطة الجور والظلم هو الذي دفع السلطة الحاكمة إلى استخدام ابشع أساليب القمع والإرهاب مع الإمام الكاظم وشيعته المعاصرين .

في غياهب السجون

اعتقل الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) عدة مرات واستضافته السجون لفترات طويلة حتى أصبح من ألقابه التي يعرف بها (حليف السجون).

وأول مرة اعتقل فيها الإمام (عليه السلام) كانت في عهد المهدى العباسي الذي تولى الحكم بعد أبيه المنصور العباسي ١٥٨هـ وعمر الإمام الكاظم (عليه السلام) آنذاك قد بلغ الثلاثين سنة..

وقد راهن المهدى على امتصاص نقمة الثائرين والمعارضين بإبداء نوع من المرونة تجاههم خلافاً لسياسة أبيه القمعية العنيفة فأطلق سراح المعتقلين السياسيين، ورد

(21) البحار ج ٤٨ ص ١١٤

(22) البحار ج٤٨ ص ٢٦٠

الأموال المصادرة إلى أهلها.

ولكن نشاط العلويين المتصاعد و استقطابهم للناس تأثير أهل البيت الفكري والثقافي على الأمة كان يقلقه كثيراً فحتى المقربون من بلاط الحكم تأثر بعضهم بأفكار أهل البيت وخطهم السياسي وينقل لنا التاريخ أن المهدى دخل على أبو عون وهو من أعز أصحابه وآثرهم عنده عائداً له، وطلب منه المهدى أن يعرض عليه حوائجه ليقوم بقضائها فقال له أبو عون: حاجتي أن ترضى عن ولدى عبد الله فقد طالت موجدتك عليه!

فأجابه المهدى: يا أبا عبد الله إنه على غير الطريق وعلى خلاف رأينا ورأيك، أنه يقع في الشيخين ويسئ القول فيهما!!.

وبعث القاسم بن مجاشع بوصيته إلى المهدى ليشهد فيها وقد جاء فيها :(شهد الله أن لا إله إلا الله هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، إن الدين عند الله الإسلام يشهد بذلك ويشهد أن محمد رسول الله صلى الله عليه وآله ووارث الإمامة من بعده..).

فلما قرأ المهدى الفقرات الأخيرة من الوصية رماها من يده ولم ينظر في باقيها[٢٣].

وتصور المهدى أن بإمكانه مواجهة النشاط العقائدي للعلويين بالترويج لأفكار مناوئة تطعن في أحقية أهل البيت وتنادى بأولوية العباسيين لخلافة والحكم ..

فشجع مجموعة من الشعراء المصلحيين على القيام بهذا العمل منهم (بشار بن برد) المعروف بالزندقة والإلحاد والذي أنشد المهدى قصيدة يقول فيها :

يا ابن الذي ورث النبي محمداً دون الأقارب من ذوى الأرحام
الوحي بين بنى البنات وبينكم قطع الخصام فلات حين خصام
ما للنساء مع الرجال فريضة نزلت بذلك سورة الأنعام
أنى يكون وليس ذاك بكائن لبنى البنات وراثة الأعمام

فأجازه المهدى على ذلك بسبعين ألف درهماً.

وأنشده مروان بن أبى حفص قصيدة يقول فيها :

هل تطمسون من السماء نجومها بأكفكم أو تسترون هلالها
أو تدفعون مقالة عن ربكم جبريل بلغها النبي فقالها
شهدت من الأنفال آخر آية بتراثهم فأردتم أبطالها

وسأله المهدى: كم بيت هي؟

فقال: مائة بيت .

فأمر له بمائة ألف درهم[٢٤].

---

(23) حياة الإمام موسى بن جعفر ج١ ص٤٤٤.

(24) حياة الإمام موسى بن جعفر ج ١ ص ٤٤٥

ولكن هل تستطيع هذه الأقوال التافهة والأشعار المنمقة تحدّى الفكر الرسالى الصادق والثقافة الإسلامية أصلية التي يبثها أهل البيت وأتباعهم في الأمة؟

كلا.. وهنا صمم المهدى على ممارسة سياسة القمع والإرهاب تجاه العلويين بعد أن فشلت سياسة الاحتواء والإعلام المضاد..

الاعتقال الأول:

ولم تكن أخبار التفاف الناس حول الإمام موسى الكاظم وتأثرهم بتوجيهاته

أمراً خافٍ عليه بل كان يعرف أنه زعيم العلويين وإمام المؤمنين وقائد المعارضة فقرر اعتقال الإمام وجلبه من المدينة إلى بغداد.

فكتب إلى عامله على المدينة يأمره بإرسال الإمام إليه فوراً وتشير بعض الروايات إلى أن المهدى قد بعث فرقة من جنده إلى المدينة لتأتيه بالإمام كما عن خالد الزبالي قال: قدم أبو الحسن موسى زبالة ومعه جماعة من أصحاب المهدى بعثهم في أشخاص إليه[٢٥].

ولما وصل الإمام إلى بغداد أمر المهدى باعتقاله وإيداعه في لسجن،ونام المهدى تلك الليلة فرأى في منامه الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) وهو متأثر حزين مخاطباً له بقوله تعالى:

{فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم }[٢٦].

فقام المهدى من نومه فزعاً مرعوباً فاستدعى حاجبه الربيع فلما مثل بين يديه كان المهدى يردد الآية الكريمة،وأمره بإحضار الإمام موسى ن فلما أقبل إليه قام فعانقه وأجلسه إلى جانبه ثم قال له بعطف ولين:

يا أبا الحسن إني رأيت أمير المؤمنين على بن أبى طالب يقرأ على كذا – وأشار إلى الآية – أفتؤمنني أن لا تخرج على أو على أحد من ولدى؟

فقال الإمام موسى: والله ما فعلت ذلك ولا هو من شأني.

قال المهدى: صدقت، يا ربيع،أعطه ثلاثة آلاف دينار ورده إلى أهله إلى المدينة فقام الربيع فشايعه وأحكم أمره وسرحه في الليل فما أصبح عليه الصبح إلا وهو في الطريق.

وذكر ابن شهراشوب في المناقب (ج٢ص٢٤٦)

(إن المهدي استدعى حميد بن قحطبة في منتصف الليل وقال له: إن إخلاص أبيك وأخيك فينا أظهر من الشمس وحالك عندي موقوف.

فقال له حميد : أفديك بالمال والنفس والأهل والولد والدين.

فأجابه المهدي: لله درك وعاهده على ذلك وأمره بقتل الإمام الكاظم في السحر بغتة.

---

(25) البحار ج ٢٨ ص ٧١

(26) محمد آية ٢٢

ونام المهدي فرأى في منامه علياً يشير إليه ويقرأ (فهل عسيتم) الآية، فانتبه مذعوراً ونهى حميد عما أمره وأكرم الإمام الكاظم وأعطاه)[27].

الاعتقال الثاني

في سنة ١٧٩هـ أي بعد تسع سنوات من تسلطه على رقاب الناس كان هارون الرشيد قادماً لحج بيت الله الحرام وفي المدينة المنورة اطلع عن كثب على نشاط الإمام الكاظم (عليه السلام) واحترام الناس له والتفافهم حوله فعظم ذلك على هارون وصمم على اعتقال الإمام وإبعاده عن المدينة.

وبكل صلافة ووقاحة وقف هارون أمام قبر رسول الله تحيط به حاشيته ووجوه حكومته وخاطب رسول الله قائلاً:

بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، إني أعتذر إليك من أمر عزمت عليه إني أريد أن آخذ موسى بن جعفر فأحبسه لأني قد خشيت أن يلقي بين أمتك حرباً يسفك فيها دماءهم!!.

وفي كلامه هذا إظهار لقلقه النفسي من التحرك الثوري المعارض الذي يقوده الإمام وأنه قد يتفجر في يوم من الأيام ضد حكمه..

وأصدر أوامره في اليوم الثاني بإلقاء القبض على الإمام ، فألقت الشرطة عليه القبض وهو قائم يصلي لربه عند رأس جده النبي صلي الله عليه وآله فقطعوا عليه صلاته ولم يمهلوه من إتمامها فحمل من ذلك المكان الشريف مقيداً وهو يذرف الدموع ويوجه شكواه إلى جده الرسول قائلاً:

[إليك أشكو يا رسول الله].

وحمل الإمام إلى الرشيد وهو يرسف في القيود فلما مثل أمامه جفاه وأغلظ له في القول وكان ذلك بتاريخ ٢٠ شوال ١٧٩هـ.

وسير الإمام معتقلاً إلى البصرة ووكل (حسان السروي بحراسته والمحافظة عليه وخوفاً من حدوث أي تحرك جماهيري أمر الرشيد بتمويه وإخفاء جهة سجن الإمام على الناس حيث هيأ قبتين تحمل أحدهما إلى الكوفة والأخرى إلى البصرة.

وسارت قافلة الإمام تطوي البيداء حتى انتهت إلى البصرة بتاريخ ٧ ذي الحجة ١٧٩هـ يعني بعد (٤٧) يوماً من اعتقاله كما يبدو من الروايات.

وحبس الإمام في سجن عيسى بن أبي جعفر وأقفلت عليه أبواب السجن وكانت لا تفتح إلا في حالتين:خروجه إلى الطهور أو إدخال الطعام إليه..

وانتشر خبر اعتقال الإمام عند الناس فازدادت نقمتهم على السلطة وشعر الرشيد بذلك مما أغضبه أكثر على الإمام فطلب من مسؤول السجن عيسى بن أبي جعفر تصفية الإمام واغتياله.. ولما وصلت أوامر الرشيد لعيسى باغتيال الإمام ثقل عليه الأمر

---

[27] حياة الإمام موسى بن جعفر ج ١ ص ٣٥٣

فجمع خواصه وثقاته فعرض عليهم الأمر فأشاروا عليه بالتحذير من ارتكاب الجريمة فاستصوب رأيهم،وكتب إلى الرشيد رسالة طلب فيها إعفاءه من ذلك وهذا نصها (يا أمير المؤمنين،كتبت إلي في هذا الرجل، وقد اختبرته طول مقامه بمن حبسته معه عيناً عليه،لينظروا حيلته،وأمره وطويته،ممن له المعرفة والدراية،ويجري من الإنسان مجرى الدم،فلم يكن منه سوء قط،ولم يذكر أمير المؤمنين إلا بخير،ولم يكن عنده تطلع إلى ولاية،ولا خروج ولا شيء من أمر الدنيا،ولا دعا قط على أمير المؤمنين ولا على أحد من الناس،ولا يدعو إلا بالمغفرة والرحمة له ولجميع المسلمين مع ملازمته للصيام والصلاة والعبادة،فإن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني من أمره،أو ينفذ من يتسلمه مني وإلا سرحت سبيله،فإني منه في غاية الحرج)

و انزعج الرشيد جداً من هذه الرسالة فقد تحول السجّان إلى مؤيد ومدافع عمن كلف بسجنه والتنكيل به وعرف الرشيد أن عيسى قد أصبح متأثراً بشخصية الإمام وتوجيهاته فقرر نقله من سجنه إلى سجن آخر قريباً من الرشيد في عاصمته بغداد لكي يشف الرشيد بشكل مباشر على وضع سجن الإمام

وحمل الإمام مقيداً تحف به الشرطة والحرس من البصرة إلى بغداد بعد أن قضى في سجن البصرة سنة كاملة!!.

فأمر باعتقاله عند حاجبه ووزيره الفضل بن الربيع وصار هو يتابع معه قضية الإمام ورغم قرب الفضل بن الربيع من الرشيد ودوره في حكومته إلا أن نفسه وهيمنة شخصيته فقد أصبح يكن للإمام احتراماً وعطفاً ورفض تشجيع الرشيد له أكثر من مرة على اغتيال الإمام، ويقول الفضل نفسه:

(قد أرسلوا إلي غير مرة يأمرونني بقتله،فلم أجبهم إلى ذلك وأعلمتهم أني لا أفعل ذلك، ولو قتلوني ما أجبتهم إلى ما سألوني).

ولما طالت مدة الحبس على الإمام (عليه السلام) وهو رهين السجون وفى ظروف بالغة الصعوبة قام ذات ليلة في غلس الليل البهيم فجدد طهوره وصلى لربه أربع ركعات وأخذ يناجي الله ويدعوه بهذا الدعاء:

(يا سيدي: نجني من حبس هارون،وخلصني من يده يا مخلص الشجر من بين رمل وطين،ويا مخلص النار من بين الحديد والحجر،ويا مخلص اللبن من بين فرث ودم،ويا مخلص الولد من بين مشيمة ورحم،ويا مخلص الروح من بين الأحشاء والأمعاء،خلصني من يد هارون)

ويمكن للإنسان أن يدرك من خلال فقرات الدعاء مدى معاناة الإمام في السجن. واستجاب الله تعالى للإمام دعاءه في نفس الليلة يقول عبد الله بن مالك الخزاعي وكان مسؤول قصر الرشيد وشرطته:

(أتاني رسول الرشيد في حال ما جاءني فيه قط،فانتزعني من موضعي،ومنعني من تغيير ثيابي،فراعني ذلك،فلما صرت إلى الدار سبقني الخادم،فعرَّف الرشيد خبري، فأذن لي في الدخول،فوجدته جالساً على فراشه،فسلمت ، فسكت

ساعة، فطار عقلي، وتضاعف جزعي، ثم قال لي:

يا عبد اللّه أتدري لم طلبتك في هذا الوقت؟

لا واللّه يا أمير المؤمنين.

إني رأيت الساعة في منامي كأن حبشياً قد أتاني، ومعه حربة فقال: إن لم تخل عن موسى بن جعفر الساعة، وإلا نحرتك بهذه الحربة، اذهب فخل عنه .

ولم يطمئن مدير الشرطة عبد اللّه بأمر الرشيد بإطلاق سراح الإمام، فقال له: أطلق موسى بن جعفر؟

قال له ذلك ثلاث مرات!! فقال الرشيد :

نعم امض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر وأعطه ثلاثين ألف درهم، وقل له إن أحبت المقام قبلنا فلك عندي ما تحب، وإن أحببت المضي إلى المدينة فالإذن في ذلك إليك).

ومضى عبد اللّه مسرعاً إلى السجن يقول: لما دخلت وثب الإمام (عليه السلام) قائماً ، وظن أنى أمرت فيه بمكروه، فقلت له:

(لا تخف، قد أمرني أمير المؤمنين بإطلاقك وأن أدفع إليك ثلاثين ألف درهم، وهو يقول لك: إن أحببت المقام قبلنا فلك ما تحب، وإن أحببت الانصراف فالأمر في ذلك مطلق لك، وأعطيته الثلاثين ألف درهم).

ويروي ابن شهراشوب في المناقب (ج٢ص٣٧٠).

(إن الإمام رفض الهدايا والخلع التي قدمت إليه...).

ويتحدث الإمام (عليه السلام) عن ملابسات إطلاق سراحه فيقول:

(بينما أنا نائم إذ أتاني رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله فقال لي: يا موسى حبست مظلوماً قل هذه الكلمات فإنك لا تبيت هذه الليلة في الحبس، فقلت بأبي أنت وأمي ما أقول ؟

فقال :قل:

[يا سامع كل صوت، ويا سابق الفوت، ويا كاسي العظام لحماً، ومنشرها بعد الموت، أسألك بأسمائك الحسنى، وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون الذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين، يا حليماً ذا اناة لا يقوى على اناته، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً، ولا يحصى عدداً، فرج عني]

وقد مكث الإمام في هذا السجن مدة طويلة من الزمن لم يعينها التاريخ .

وبعد إطلاق سراحه بقي الإمام في بغداد لأن الرشيد لم يسمح له بالرجوع إلى المدينة كما تشير إلى لك بعض المصادر فقد ذكر المجلسي رحمه اللّه في بحار الأنوار أن الإمام طلب من هارون أن يسمح له بالرحيل إلى يثرب لرؤية عياله وأطفاله فأجابه الرشيد قائلاً : انظر في ذلك ولم يأذن له.

ويقول السيد مير علي في مختصر تاريخ العرب صفحة "٢٠٩" .

(وقد حدث مرتين أ ن سمح الرشيد لهذا الإمام الوديع بالرجوع إلى الحجاز ولكن

شكوكه كانت في كلتا المرتين تتغلب على طيبة قلبه[...] فيبقيه في الحبس).

الاعتقال الثالث :

ورغم أن الإمام تحت الإقامة الجبرية ،وأن عيون الحكومة مسلطة عليه و وأنه تحت هيمنة السلطة وإشرافها إلا أن نشاط الإمام وتأثيره كان يتجاوز كل تلك الحواجز ،وانتبه الرشيد إلى أن الإمام قد تصبح له شعبية كبيرة وولاء جماهيري في العاصمة بغداد لا يمكن السيطرة عليه ،فعاوده القلق وبدأ يفكر في مواجهة هذا الخطر وصمم مرة أخرى على اعتقال الإمام من جديد والتنكيل به ..

يقول الفضل بن يحي:(كنت حاجباً عند الرشيد فأقبل علي يوماً وهو غضبان وبيده سيف يقلبه فقال لي: لئن لم تأتني بموسى بن جعفر لأخذت الذي فيه عيناك!

وأمر الرشيد أن يحضر له سوطين وهسارين وجلادين فأحضر الفضل له ذلك..

يقول الفضل: ومضيت إلى منزل أبي إبراهيم موسى بن جعفر فأتيت إلى خربة فيها كوخ من جريد النخل،وإذا بغلام أسود ،فقلت له: استأذن لي على مولاك،يرحمك الله

فقال الغلام: أدخل فليس له حاجب ولا بواب فولجت إليه ،فإذا بغلام أسود بيده مقص يأخذ اللحم من جبينه وعرنين أنفه من كثرة سجوده،فسلمت عليه وقلت:

اجب الرشيد.

فقال (عليه السلام): ما للرشيد ومالي أما تشغله نعمته عني؟!

ووثب مسرعاً فقلت له: استعد للعقوبة يا أبا إبراهيم.

فقال: أليس معي من يملك الدنيا والآخرة ،ولن يقدر اليوم على سوء بي إن شاء الله.

قال الفضل: رأيت الإمام وقد أدار يده يلوح بها على رأسه الشريف ثلاث مرات

ولما وصل الفضل استقبله الرشيد وهو مذهول قد استولى عليه الخوف والذعر فقال له: يا فضل.

لبيك.

جئتني بابن عمي ؟

نعم.

لا تكن قد أزعجته؟

لا.

لم تعلمه أني عليه غضبان؟ فإني قد هيجت على نفسي ما لم أرده ائذن له بالدخول.

ودخل الإمام على هارون فوثب إليه قائماً وعانقه وحادثه ثم قدم له الهدايا وودعه!

والتفت هارون إلى الفضل ليفسر له التحول المفاجئ في موقفه تجاه الإمام قائلاً:

(يا فضل إنك لما مضيت لتجيئني به رأيت أقواماً قد أحدقوا بداري بأيديهم حراب قد غرسوها في أصل الدار يقولون: إن آذى ابن رسول الله خسفنا به وبداره الأرض وإن أحسن إليه انصرفنا عنه وتركناه).

وانطلق الفضل مسرعاً نحو الإمام قائلاً له: ما الذي قلت حتى كفيت أمر الرشيد؟

فقال (عليه السلام):

دعاء جدي علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو دعاء كفاية البلاء:

(اللهم بك أساور، وبك أحاول، وبك أجاور، وبك أصول، بك أنتصر، وبك أموت، وبك أحيا ، أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اللهم إنك خلقتني ، ورزقتني، وسترتني عن العباد، بلطف ما خولتني أغنيتني، فإذا هويت رددتني، وإذا عثرت قومتني، وإذا مرضت شفيتني، وإذا دعوت أجبتني يا سيدي: أرض عني فقد أرضيتني).

الاعتقال الرابع:

كلما لاحظ الرشيد ازدياد نقمة الجماهير على حكمه واتساع رقعة المعارضة وتصاعد التحرك الرسالي الذي يقوده الإمام (عليه السلام)، تفجر حقداً وغضباً، واتخذ قرارات قمعية جديدة تجاه الإمام... ومرة أخرى ألقي القبض على الإمام وسجنه عند الفضل بن يحيى وكان الفضل معجباً بشخصية الإمام متأثراً به لذا لم يضيق عليه في السجن خلافاً لرغبات هارون الرشيد ورفض الأمر بقتله مما أغضب الرشيد على الفضل بعد أن بعث أحد جواسيسه (ميسور الخادم) ليطلع على وضع الإمام في السجن فوافاه بتقرير مفاده أن الفضل يرفه على الإمام في السجن ويفسح له المجال لممارسة نشاطه.

فأصدر الرشيد أمراً باعتقال الفضل وجلده بمائة سوط وأمر بلعنه في مجلسه فلعنه الناس وتبرأوا منه!!.

ونقل الإمام من سجن الفضل بن يحيى بعد فترة قصيرة من اعتقاله فيه.

السجن الأخير:

وظل هارون يبحث عن عنصر شرير قاسي القلب ينفذ أوامره الصارمة في إيذاء الإمام الكاظم ويستعصي قلبه على التأثر بشخصية الإمام والتعاطف معه فكان (السندي بن شاهك)الذي تولى سجن الإمام وتعامل معه بكل جفوة وقسوة..

وأمر الرشيد جلاده السندي أن يضيق على الإمام، وأن يقيده بثلاثين رطلاً من الحديد ، ويقفل الباب في وجهه، ولا يدعه يخرج إلا للوضوء، وامتثل السندي إلى ذلك، فقام بإرهاق الإمام وبذل جميع جهوده للتضييق عليه ووكل بمحافظته بشاراً مولاه، وكان من أشد الناس بغضاً لآل أبي طالب ولكنه لم يلبث أن تغير حاله، وتاب إلى طريق الحق وذلك لما رآه من كرامات الإمام (عليه السلام) ومعاجزه، وقام ببعض الخدمات له .

ورأى الرشيد في السندي أفضل منفذ لأوامره في تصفية الإمام واغتياله بعد أن امتنع سائر المسؤولين عن القيام بهذا العمل الشنيع .

فأوعز إليه بالقضاء على حياة الإمام بدس السم إليه وفعلاً، قدم السندي للإمام

رطباً مسموماً ولما تناول الإمام منه تسمم بدنه وأخذ يعاني آلاماً مبرحة، وأوجاعاً قاسية، وقد حفت به الشرطة القساة، ولازمه السندي بن شاهك ليسمعه في كل فترة أخشن الكلام وأغلظه وأقساه، ومنع عنه جميع الإسعافات ليعجل له النهاية المحتومة، وعانى الإمام العظيم في تلك الفترات الرهيبة ما لم يعانيه أي إنسان فآلام السم قد أذابت قلبه، وأحزانه أي حزن انتهاك حرمته، وغربته وعدم مشاهدة أعزائه وأحبائه، وهو قد أشرف على مفارقة الحياة.

والتحق الإمام بالرفيق الأعلى شهيداً مسموماً غريباً سجيناً وكانت وفاته (عليه السلام) في ٢٥ شهر رجب سنة ١٨٣هـ وقيل سنة ١٨٦هـ.

وأدركت السلطة أن أصابع الاتهام ستوجه إليها من قبل جماهير الأمة باغتيال الإمام مما يزيد في نقمة الناس ويهدد بردود فعل ثورية قوية، ولتلافي هذا الخطر استدعى السندي بن شاهك جماعة من معارف الإمام في بغداد بعد أن بحث عنهم وأحضرهم وكانوا نيفاً وخمسين رجلاً –كما تشير الرواية – وأراهم جسد الإمام ليشهدوا بأنه خال من أية آثار تدل على موت غير طبيعي وسجل شهادتهم مع أسمائهم وأعمالهم ومنازلهم..

واستدعى جماعة من الفقهاء ووجوه أهل بغداد واستشهدهم على ذلك بعد عرض جنازة الإمام عليهم..

ومرة ثالثة قبل دفن الإمام جاء رسول من قبل السندي فأمر بكشف وجه الإمام للناس ليروه أنه صحيح غير مقتول .

وقام هارون الرشيد بجمع شيوخ الطالبين والعباسيين وقال لهم: (هذا موسى بن جعفر قد مات حتف انفه، وما كان بيني وبينه ما استغفر الله منه، فانظروا إليه).

وهذه الإجراءات تدل على إدراك السلطة لاهتمام أوساط الأمة بحياة الإمام واتهامهم للسلطة بقتله..

ولم تكتف السلطة بالقضاء على حياة الإمام بل أرادت توجيه الإهانة والأذى لجنازة الإمام فأمر السندي بوضع جنازته على جسر بغداد ودعوة الناس للتفرج عليه مع وصف الإمام بأفظع الأوصاف وكان الجنود يهتفون في الناس:

(هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنه لا يموت فانظروا إليه ميتاً).

وانبرى سليمان بن أبي جعفر المنصور عم هارون الرشيد فتولى تجهيز الإمام وتشييعه فقد كان قصره مطلاً على نهر دجلة، فسمع الصياح والضوضاء فالتفت إلى ولده وغلمانه قائلاً: ما الخبر؟

فقالوا له: هذا السندي بن شاهك ينادي على موسى بن جعفر وأخبروه بذلك النداء القاسي الفظيع.

فثارت عواطفه، واستولى عليه الغيظ، وصاح بولده: (انزلوا مع غلمانكم فخذوه من أيديهم، فإن مانعوكم فاضربوهم، وخرقوا ما عليهم من سواد – وهو لباس الشرطة والجيش – وانطلق أبناء سليمان وغلمانه مسرعين إلى الشرطة فأخذوا جثمان

الإمام منهم،ولم تبد الشرطة معهم أية معارضة،سليمان عم الخليفة،وأهم شخصية لامعة في الأسرة العباسية.. وحمل الغلمان نعش الإمام،وأمر سليمان أن ينادى عليه في شوارع بغداد بنداء معاكس لنداء السندي فقالوا : [ألا من أراد أن يحضر جنازة الطيب ابن الطيب موسى بن جعفر فليحضر].

المحتمل أن مبادرة سليمان لتشييع جنازة الإمام لعبة سياسية من قبل السلطة لتدارك الموقف .

فخرج الناس على اختلاف طبقاتهم لتشييع جثمان الإمام الكاظم (عليه السلام) .. يتقدمهم سليمان بن المنصور ويروى أن هارون الرشيد لما رأى ضخامة موكب التشييع وعرف استياء الناس مما حدث لجنازة الإمام خرج مع وزرائه وحاشيته مشاركاً في التشييع ليوحي للناس بأن ما حدث كان تصرفاً فردياً من السندي بن شاهك.

ويروى أن هارون الرشيد كتب إلى عنه سليمان شاكراً له على مبادرته بتشييع جنازة الإمام متظاهراً بعدم رضاه عما فعل السندي بن شاهك وكان نص كتابه:(وصلت رحمك يا عم، وأحسن الله جزاءك والله ما فعل السندي بن شاهك لعنه الله ما فعله عن أمرنا).

ودفن الإمام حيث مثواه الخير المعروف باسمه (الكاظمية) قرب بغداد والذي تحفه الملائكة وتؤمه جموع المؤمنين للزيارة.. وفقنا الله لزيارته وحشرنا في زمرته[٢٨] .

---

(28) التاريخ الإسلامي دروس وعبر ص٢٢٢

دروس من سجن الإمام

قدوة للمجاهدين :

حينما يحمل الإنسان رسالة مقدسة وقضية عادلة فإن عليه أن يستعد لدفع الثمن وتحمل المصاعب والأذى والاعتقال لون من ألوان المشاكل التي يواجهها العاملون في سبيل الله.. ذلك لأن السلطات الديكتاتورية لا تسمح بوجود نشاط معرض لسياستها فتقمع كل من لا يوافقها في الرأي والموقف حتى لا يشكل خطراً على وجودها ونفوذها.. وتشهر ضده سلاح الاعتقال لتمنعه من العمل ولتفصل بينه وبين الناس لئلا يتأثروا بأفكاره ولإيذائه نفسياً وجسدياً بالتعذيب والتنكيل..

وأمام هذا الامتحان يتساقط كثيرون وينهزمون نفسياً ويتخلون عن رسالتهم وقضيتهم.. بينما يزداد المؤمن الصامد إصراراً على موقف الجهاد وتمسكاً بعدالة القضية..

و الإمام الكاظم سلام الله عليه قدوة للمؤمنين المجاهدين و للأحرار الثائرين فقد تحمل عناء السجون لفترة طويلة من سجن إلى سجن ومن طامورة إلى طامورة ففي عهد هارون الرشيد فقد قضى الإمام من حياته أربع سنوات أو سبع سنوات من سنة ١٧٩هـ إلى وفاته سنة ١٨٣هـ أو ١٨٦هـ بين السجون تخللتها مدة قصيرة تحت الإقامة الجبرية..

وعانى الإمام في سجونه الإهانة والأذى والتنكيل من حيث سوء مكان السجن وظلامه وكما مر علينا كان عليه من القيود والأغلال الحديدية ما يقدر وزنه بثلاثين رطلاً.

وأما الشتم والإهانة وخاصة في سجن السندي بن شاهك فحدث عنها ولا حرج وتهديده بالاغتيال والقتل أكثر من مرة وجلبه إلى الرشيد في حالات مفاجئة وعنيفة كما مرت الإشارة إلى ذلك.

ومن ناحية أخرى فقد كان للإمام عائلة كبيرة فأولاده (عليه السلام) يبلغون (٣٣) بين ذكر وأنثي على أقل الروايات وفي رواية أخرى أنهم (٤٠) أو (٦٠)[٢٩].

---

[29] حياة الإمام موسى بن جعفر ج ٢ ص ٣٧٧

بالإضافة إلى زوجاته و عوائل بني هاشم الذين رملتهم وأيتمتهم الثورات العلوية وكان الإمام الكاظم يقوم بإدارتهم ونفقتهم.. فكم كان صعباً وقاسياً على الإمام ترك كل عائلته وأسرته محرومة من رعايته وكفالته؟

وإذا كان الإمام على عظمته ومكانته عند اللّه يعرّض نفسه للسجن والتعذيب في سبيل اللّه فهل نبخل بأنفسنا نحن؟ أو يعظم علينا أن نعتقل ونُهان؟

إن لنا ولكل مؤمن مجاهد في الإمام الكاظم (عليه السلام) أسوة حسنة.

الروحية الصامدة:

واستقامة وإصراراً على موقف الحق والجهاد مردداً مع نبي اللّه يوسف (عليه السلام) قوله تعالى: {قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه)

وهكذا كانت شخصية الإمام الكاظم (عليه السلام) في السجون والمعتقلات.

إنه يسلي أصحابه الذين آلمهم اعتقاله كما يحدث أبو خالد الزبالي يقول :

(قدم أبو الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) زبالة ومعه جماعة من أصحابه المهدي بعثهم في أشخاصه إليه، وأمرني بشراء حوائج.ونظر إليّ وأنا مغموم، فقال: يا أبا خالد ملي أراك مغموماً ؟

قلت: هو ذا تصير إلى هذا الطاغية ولا آمنك منه .

قال (عليه السلام): ليس علي منه بأس إذا كان يوم كذا فانتظرني في أول الميل[٣٠].

وبعد واقعة فخ العظيمة تركز غضب الخليفة العباسي على الإمام موسى متهماً إياه بأنه محرك ثورات العلويين وصار يتهدد الإمام ويتوعده ويحلف على قتله قائلاً:

(واللّه ما خرج حسين إلا عن أمره، ولا اتبع محبته لأنه صاحب الوصية في أهل هذا البيت قتلني اللّه إن أبقيت عليه).

وتناقل الناس تهديد الحاكم العباسي بخوف وفزع وهرع جماعة من العلويين إلى الإمام طالبين منه الاختفاء ليسلم من شر الطاغية.. ولكنه رفض ذلك وسخر من تهديدات السلطة – كما مر عليه سابق.

ورغم قمع السلطة العباسية وضغوطها على الإمام وأتباعه إلا أن الإمام (عليه السلام) كان أكثر تصلباً في موقفه الرسالي ولم يقدم للسلطة ولا ذرة من التنازل..

– ١ –

إنه يوبّخ أحد أصحابه لأنه يؤجر جماله للخليفة العباسي ليذهب عليها للحج... ويرفض الإمام حتى هذا الحد من العلاقة والتعامل مع السلطات الظالمة..

---

(30) البحار ج ٤٨ ص ٧١

فقد قال (عليه السلام) لصفوان الجمال:

يا صفوان كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً؟!.

جعلت فداك أي شيء؟

كراؤك جمالك من هذا الطاغية – هارون.

والله ما أكريته أشراً، ولا بطراً، ولا للصيد ولا للهو، ولكن أكريته لهذا الطريق – يعني طريق مكة – ولا أتولاه بنفسي، ولكن أبعث معه غلماني.

فقال له الإمام: أيقع كراك عليه؟

نعم جعلت فداك .

أتحب بقاءهم حتى يخرج كراك؟

نعم.

فقال (عليه السلام): من أحب بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم كان وارداً النار.

وما كان لصفوان وهو المؤمن الطليعي مخالفة أمر قيادته الشرعية ولكن ما هو المبرر الذي يقدمه للرشيد عن تهربه من تأجير جماله؟ ليس إلا ترك هذه المهنة والانصراف عنها.. وبالفعل بادر إلى بيع جماله وتخلّى عن مهنته القديمة التي تدر عليه الفوائد والأرباح التزاماً بالموقف الشرعي..

وطلبه بعدها هارون الرشيد وسأله:

يا صفوان بلغني أنك بعت جمالك!

نعم.

ولم؟

أنا شيخ كبير، وإن الغلمان لا يفون بالأعمال.

هيهات هيهات!! إني لأعلم من أشار عليك بهذا و أشار عليك موسى بن جعفر.

صفوان مالي ولموسى بن جعفر؟

دع عنك هذا فوالله لولا حسن صحبتك لقتلتك[٣١].

– ٢ –

وفي موقف آخر يقول زياد بن أبي سلمة: دخلت على أبي الحسن موسى (عليه السلام) فقال لي: يا زياد إنك لتعمل عمل السلطان؟

زياد: أجل!

الإمام: ولمَ؟

زياد: أنا رجل لي مروءة وعلي عيال، وليس وراء ظهري شيء .

الإمام: يا زياد لأن أسقط من حالق فانقطع قطعة قطعة، أحب إلى من أن أتولي لأحد منهم عملاً أو أطأ بساط رجل منم إلا لتفريج كربة عن مؤمن، أوفك أسره، أو

---

(31) حياة الإمام موسى بن جعفر ج ج ٢ ص ٢٢٦

قضاء دينه!!.

يا زياد إن أهون ما يصنع الله بمن تولى لهم عملاً أن يضرب عليه سرادق من نار إلى أن يفرغ الله من حساب الخلائق .

يا زياد: فإن وليت شيئاً من أعمالهم فأحسن إلى إخوانك فواحدة بواحدة والله من وراء ذلك.

يا زياد: أيما رجل منكم تولى لأحد منهم عملاً ثم ساوى بينكم وبينهم فقولوا له : أنت منتحل كذاب!

يا زياد : إذا ذكرت مقدرتك على الناس فاذكر قدرة الله عليك غداً ،ونفاد ما أتيت إليهم عنهم ،وبقاء ما أتيت إليهم عليك(٣٢) .

-٣-

وجاء هارون الرشيد مرة لزيارة قبر رسول الله صلي الله عليه وآله وقد حف به وزراؤه وكبار رجالات دولته فأراد الرشيد أن يظهر مكانته وقربه من رسول الله فدنا من القبر المقدس هاتفاً برفيع صوته: السلام عليك يا ابن العم .

وكان الإمام الكاظم (عليه السلام) حاضراً فلم يشأ أن يسكت على متاجرة هارون بانتسابه إلى رسول الله صلي الله عليه وآله..

فاقترب الإمام رافعاً صوته: السلام عليك يا أبت .

وأدرك الجميع ما يقصده الإمام من تحديه لهارون الرشيد واحتجاجه على أسلوبه الدنيء في الإعلام والمتاجرة بالمقدسات.

فلم يتمالك هارون والتفت إلى الإمام قائلاً بغضب:

لم قلت أنك أقرب إلى رسول الله منا؟

فأجابه الإمام: لو بعث رسول الله حياً وخطب منك كريمتك هل كنت تجيبه إلى ذلك؟

فقال هارون: سبحان الله وكنت افتخر بذلك على العرب والعجم.

قال الإمام: لكنه لا يخطب مني ولا أزوجه لأنه والدنا لا والدكم فلذلك نحن أقرب إليه منكم!!.

ثم قال (عليه السلام) : هل كان يجوز له أن يدخل على حرمك وهن مكشفات ؟

فقال هارون: لا.

قال الإمام: لكن له أن يدخل على حرمي ويجوز له ذلك فلذلك نحن اقرب إليه منكم(٣٣) .

-٤-

---

(32) البحار ج ٤٨ ص ١٧٢

(33)حياة الإمام موسى بن جعفر ج ٢ ص ٤٥٦

وبعد ذلك أن طال بقاء الإمام في السجن و ازدادت معاناته وتنكيله عرض عليه جماعة من شيعته التحدث مع بعض شخصيات الحكم للتوسط لدي هارون لإطلاق سراحه،ولكن الإمام رفض ذلك بقوة وأجابهم قائلاً: [حدثني أبي عن آبائه أن الله عز وجل أوحى إلى داود،يا داود أنه ما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي دوني،وعرفت ذلك منه إلا قطعت عنه أسباب السماء، واسخت الأرض من تحته][34].

وبقلب مطمئن ونفس صامدة كتب الإمام من السجن رسالة عنيفة إلى هارون الرشيد هذا نصها:

[إنه لن ينقضي عني يوم من البلاء حتى ينقضي عنك يوم من الرخاء ، حتى نفنى جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء ، وهناك يخسر المبطلون]([35]).

- ٥-

وحاول الرشيد أن يجرب مع الإمام أسلوب الإغراء لعل ذلك ينفع في تخفيف صلابة الإمام ، فأرسل له جارية وضاءة بارعة الجمال والحسن،بعنوان القيام بخدمة الإمام في السجن وبواسطة أحد خواص هارون وحاشيته فرفض الإمام ذلك وقال لمبعوث الرشيد: قل لهارون بل أنتم بهديتكم تفرحون،لا حاجة لي في هذه ولا في أمثالها!!.

وحينما أبلغ الرسول للرشيد موقف الإمام وقوله غضب الرشيد وقال: ارجع إليه،وقل له: ليس برضاك حبسناك ، ولا برضاك أخدمناك ، واترك الجارية عنده وانصرف !!.

وبقيت الجارية في السجن مع الإمام وبعد فترة أراد الرشيد أن يعرف الأثر الذي تركته الجارية على نفس الإمام فأرسل من يرى وضعها في السجن فرأوها ساجدة لربها لا ترفع رأسها وهي تقول في سجودها:" قدوس ، قدوس ".

فأخبروا هارون الرشيد عن وضع الجارية وأنها بدلاً من أن تؤثر على موقف الإمام أثر الإمام عليها وحولها إلى عابدة خاشعة فقال هارون :

" سحرها والله موسى بن جعفر عليّ بها "([36]).

— ٦-

وفشلت سجون هارون ووسائل بطشه وتنكيله في انتزاع أقل استعطاف أو تراجع من الإمام ..

حتى أن الرشيد بعث مرة وزيره يحيى بن خالد للإمام أواخر أيام سجنه ليحاول إقناع الإمام بطلب العفو من هارون والاعتراف بأن موقفه تجاه السلطة

كان خاطئاً وإلا فسيبقى مخلداً في السجن.إلا أن الإمام رفض ذلك وبكل قوة

---

(34) حياة الإمام موسى بن جعفر ج ٢ ص ٤٩٩

(35) حياة الإمام موسى بن جعفر ج ٢ ص٥٠٠

(36) حياة الإمام موسى بن جعفر ج ٢ ص ٥٠٠ و البحار ج ٤٨ ص ٢٣٨

وتحدي ..

تقول الرواية إن الرشيد قال لوزيره يحيى :

(انطلق إلى موسى بن جعفر وأطلق عنه الحديد وأبلغه عني السلام وقل له : يقول لك ابن عمك : إنه قد سبق مني فيك يمين أن لا أخليك حتى تقر لي بالإساءة وتسألني العفو عما سلف منك وليس عليك في إقرارك عار ولا في مساءلتك إياي منقصة ، وهذا يحيى بن خالد ثقتي ووزيري وصاحب أمري فأسأله بقدر ما أخرج من يميني).

فالتفت الإمام إلى يحيى ونصحه بعدم الثقة في هارون وأنه معرض وأسرته لبطش هارون ونقمته في يوم من الأيام ثم أجاب (عليه السلام) على عرض هارون قائلاً :

[يا أبا علي ، أبلغه عني ، يقول لك موسى بن جعفر يأتيك رسولي يوم الجمعة فيخبرك بما ترى - أي وفاة الإمام - وستعلم غداً إذا جاثيتك بين يدي الله من الظالم والمعتدي على صاحبه ؟][٣٧].

سلاح الدعاء :

مهما تظاهر الطاغوت بالقوة والسيطرة ، واستعرض عضلات جنوده وأسلحته ، فإن المؤمن الثائر لن ينخدع بهذه المظاهر والاستعراضات ، ولن ترهبه نفسياً ، لأنه يعرف أنها قوة زائفة محدودة مؤقتة وأن القوة الحقيقية والهيمنة المطلقة له سبحانه وتعالى.

من هنا يزداد انقطاع المؤمن إلى الله أكثر كلما بالغ الطاغوت في استخدام قوته الزائفة .. فأمام سياط تعذيب الظلمة يرفع المؤمن صوته بالتكبير والاستغاثة بالله وتجاه حشود جلاوزة السلطة يتوجه قلب الإنسان إلى عظمة الله وقدرته .. فيصبح المؤمن (وهو الأسير الوحيد بيد الأعداء) قوي النفس ، مطمئن القلب ، ثابت الجنان رغم كل مظاهر البطش والقمع التي تحيط به .

حينما بعثت السلطة جلاوزتها لاعتقال الإمام الكاظم (عليه السلام) للمرة الثالثة قال مسؤول الفرقة للإمام : استعد للعقوبة يا أبا إبراهيم !.

فقال (عليه السلام) : أليس معي من يملك الدنيا والآخرة ؟ ولن يقدر على سوء بي إن شاء الله .

ألم يقل سبحانه :

{ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب }[٣٨].

ويقول تعالى :

---

(37) حياة الإمام موسى بن جعفر ج ٢ ص ٥٠٤

(38) الرعد آية ٢٨

{ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء }[39].

فيلجأ المؤمن إلى الله طالباً منه العون والدعم على ظلم الظالمين والخلاص والنجاة من بطشهم مع معرفة المؤمن بأن الله أعلم منه بمصلحته وأن ما يختاره الله للإنسان أفضل مما يتمناه الإنسان لنفسه .. ولن تذهب دعوات المؤمن واستغاثته هباءاً عند الله .. فقد تشاء حكمة الله إنقاذه وخلاصه من أيدي الظالمين .. وقد تكون الدعوات سبباً في تخفيف السوء عنه .. وقد يعجل الله بدعوته في الانتقام من أعدائه ..والشيء المضمون والمحروز من دعوات المؤمن المبتلى ببطش الظلمة زيادة الأجر والثواب عند الله تعالى وقوة النفس والروح تجاه الأذى والعدوان ..

إن القرآن الحكيم يحدثنا عن استجابة الله تعالى لأنبيائه وأوليائه حينما يتضرعون إليه بالداء لكشف ما ألم بهم من محن ومشاكل فيقول تعالى :

{ وأيوب إذ نادى ربه اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما

به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين }[40].

والمؤمن المطارد من قبل طغاة الأرض عليه أن يشهر سلاح الدعاء لعل الله يدفع عنه أذاهم وعدوانهم ويقول الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) :

[ما من بلاء على عبد مؤمن فيلهمه الله عز وجل الدعاء إلا كان كشف ذلك البلاء وشيكاً ، وما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء إلا كان ذلك البلاء طويلاً ، فإذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء والتضرع إلى الله][41].

و الإمام الكاظم (عليه السلام) الذي عايش ضغوط السلطات وعانى ظلمات السجون وآلام التعذيب لفترة طويلة قدم للمجاهدين المؤمنين عبر الأجيال رصيداً مهماً من روائع الأدعية والاستغاثة بالله ولنتأمل بعضاً منها عسى أن نستفيد منها عند الحاجة :

1/ دعاء الخلاص :

دعا به الإمام في سجن الفضل بن الربيع وبعد أن طال بقاؤه في السجن قام (عليه السلام) في غلس الليل البهيم وجدد طهوره وصلى لربه أربع ركعات وأخذ يناجي ربه بهذا الدعاء :

[يا سيدي نجني من حبس هارون ، وخلصني من يده ، يا مخلص الشجر من بين رمل وطين ، ويا مخلص النار من بين الحديد والحجر ، ويا مخلص اللبن من بين فرث ودم ، ويا مخلص الولد من بين مشيمة ورحم ، ويا مخلص الروح من بين الأحشاء

(39) إبراهيم آية ٢٧

(40) الأنبياء آية ٨٣ ، ٨٤

(41) الدعاء المستجاب ص ١٧٧

والأمعاء ، خلصني من يد هارون][42].

٢/ دعاء الفرج :

بعد دعائه السابق أخذه النوم فرأى في منامه رسول الله صلي الله عليه وآله يلقنه الدعاء التالي :

يقول (عليه السلام) : بينما أنا نائم إذ أتاني رسول الله صلي الله عليه وآله فقال لي : يا موسى حبست مظلوماً ، قل هذه الكلمات فإنك لا تبيت الليلة في الحبس .

فقلت له بأبي وأمي ما أقول ؟

فقال : قل :

[يا سامع كل صوت ، ويا سابق الفوت ، ويا كاسي العظام لحماً ، ومنشرها بعد الموت ، أسألك بأسمائك الحسنى ، وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون الذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين ، يا حليماً ذا اناة لا يقوى على اناته ، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً ، ولا يحصى عدداً ، فرج عني][43].

٣/ الدعاء على الظالم :

دعا الإمام بهذا الدعاء في قنوت صلاته على الظالم له لم يذكر النص أسمه ويتضح من فقرات الدعاء أن ذلك الظالم هو الخليفة العباسي قال (عليه السلام) :

[اللهم إني وفلان ابن فلان ، عبدان من عبيدك ، نواصينا بيدك تعلم مستقرنا ومستودعنا ومنقلبنا ، ومثوانا ، وسرنا ، وعلانيتنا تطلع على نياتنا وتحيط بضمائرنا ، علمك بما نبديه كعلمك بما نخفيه ، ومعرفتك بما نبطنه كعلمك بما نعلنه ، ولا ينطوي عندك شيء من أمورنا ، ولا ينستر دونك حال من أحوالنا ، ولا لنا منك معقل يحصننا ، ولا حرز يحرزنا ، ولا مهرب لنا نفوتك به ولا تمنع الظالم منك حصونه ، ولا يجاهدك عنه جنوده ، ولا يغالبك مغالب بمنعه ، أنت مدركه أينما سلك وقادر عليه أينما لجأ ، فمعاذ المظلوم منابك ، وتوكل المقهور منا عليك ،

ورجوعه إليك ، يستغيث بك إذا خذله الغيث ، ويستصرخك إذا قعد عنه النصير ، ويلوذ بك إذا نفته الأفنية ، ويطرق بابك إذا أغلقت عنه الأبواب المرتجة ، ويصل إليك إذا احتجبت عنه الملوك الغفلة ، تعلم ما حل به من قبل أن يشكوه إليك ، وتعرف ما يصلحه قبل أن يدعوك له ، فلك الحمد بصيراً عليماً لطيفاً ، الهم ، وأنه قد كان في سابق علمك ومحكم قضائك ، وجاري قدرك ، ونافذ أمرك ، وماضي مشيئتك في خلقك أجمعين شقيهم وسعيدهم وبرهم وفاجرهم إن جعلت " لفلان ابن فلان" علي قدرة فظلمني وبغي علي بمكانها واستطال وتعزز بسلطانه الذي خولته إياه ، وتجبر وافتخر بعلو حاله الذي نولته ، وغره املاؤك ، وأطغاه حلمك عنه فقصدني

(42) حياة الإمام موسى بن جعفر ج ٢ ص٤٧٣

(43) حياة الإمام موسى بن جعفر ج ٢ ص٤٧٤

بمكروه عجزت عن الصبر عليه ،وتعمدني بشر ضعفت عن احتماله ، ولم أقدر على الاستنصاف منه لضعفي ، ولا على الانتصار لقلتي فوكلت أمره إليك ، وتوكلت في شأنه عليك ، وتوعدته بعقوبتك ، وحذرته ببطشك ، وخوفته بنقمتك ، فظن أن حلمك عنه من ضعف ، وحسب أن املاءك عليه من عجز ، ولم تنهه واحدة عن أخرى ، ولا انزجر عن ثانية بأولي لكنه تمادي في غيه ، وتتابع في ظلمه ، ولج في عدوانه واستشري في طغيانه جرأة عليك يا سيدي ومولاي وتعرضاً لسخطك الذي لا تحبسه عن الباغين ، فها أنا يا سيدي مستضام تحت سلطانه مستذل بفنائه مبغي علي ، وجل خائف ، مروع مقهور قد قل صبري وضاقت حيلتي ، وتغلقت علي المذاهب غلا إليك ، وانسدت عني الجهات إلا جهتك ، والتبست علي أموري في دفع مكروهه واشتبهت علي الآراء في إزالة ظلمه ، وخذلني من استنصرته من خلقك ، وأسلمني من تعلقت به من عبادك ، فاستشرت نصحي فأشار علي بالرغبة إليك ، واسترشدت دليلي فلم يدلني إلا إليك ، فرجعت إليك يا مولاي صاغراً راغماً مستكيناً عالماً أنه لا فرج لي إلا عندك ، ولا خلاص لي إلا بك انتجز وعدك في نصرتي وإجابة دعائي لأن قولك الحق الذي لا يرد ولا يبدل ، وقد قلت تباركت وتعاليت { ومن بغي عليه لينصرنه اللّه } وقلت جل ثناؤك ، وتقدست أسماؤك { ادعوني استجب لكم } فأنا فاعل ما أمرتني به لا مناً عليك ، وكيف أمن به وأنت دللتني عليه ، فاستحب لي كما وعدتني يا من لا يخلف الميعاد وغني لأعلم يا سيدي أن لك يوماً تنتقم فيه من الظالم للمظلوم ، وأتيقن أن لك وقتاً تأخذ فيه من الغاصب للمغصوب لأنه لا يسبقك معاند ، ولا يخرج من قبضتك منابذ ، ولا تخاف فوت فائت ولكن جزعي وهلعي لا يبلغان الصبر على أناتك ، وانتظار حلمك فقدرتك يا سيدي فوق كل قدرة ، وسلطانك غالب كل سلطان ، ومعاد كل أحد إليك وإن أمهلته ، ورجوع كل ظالم إليك وإن أنظرته ، وقد أضرني – يا سيدي – حلمك عن(فلان) وطول أناتك له ، وإمهالك إياه ، ويكاد القنوط أن يستولي علي ، لولا الثقة بك ، واليقين بوعدك ، فإن كان في قضائك النافذ وقدرتك الماضية أنه ينيب ، أو يتوب ، أو يرجع عن ظلمي ويكف عن مكروهي ، وينتقل عن عظيم ما ركب مني ، فصل على محمد وآله ، وأوقع ذلك في قلبه قبل إزالة نعمتك التي أنعمت عليه ، وتكدير معروفك الذي صنعته إليه ، وإن كان علمك به غير ذلك من مقامه على ظلمي ، فإني أسألك يا ناصر المظلومين المبغي عليهم إجابة دعوتي فصل على محمد وآله وخذه من مأمنه أخذ عزيز مقتدر وأفاجئه في غفلته مفاجأة مليك منتصر واسلبه نعمته وسلطانه وأفضض عنه جموعه وأعوانه ومزق ملكه كل ممزق ، وفرق أنصاره كل مفرق ، وأعزله من نعمتك التي لم يقابلها بالشكر والإحسان ، وانزع عنه سربال عزك الذي لم يجازه بالإحسان ، واقصمه يا قاصم الجبابرة ، وأهلكه يا مهلك القرون الخالية ، وابره يا مبير الأمم الظالمة وأخذله يا خاذل الفرق الباغية ، وابتر عمره ، وابتز ملكه ، وعف أثره ، واقطع خبره ، واطف ناره ، واظلم ناره ، وكور شمسه ، وازهق نفسه ، أهشم سوقه

، وجب سنلمه أرغم أنفه ، وعجل حتفه ولا تدع له جنة غلا هلكتها ولا دعامة إلا قصمتها ، ولا كلمة مجتمعة إلا فرقتها ولا قائمة علو إلا وضعتها ، ولا ركناً إلا أوهنته ، ولا سبباً إلا قطعته ، وأرنا أنصاره وجنوده عبيداً بعد العزة ، واجعلهم متفرقين بعد اجتماع الكلمة ومقنعي الرؤوس بعد الظهور على الأمة ، واشف بزوال أمره القلوب الوجلة والأفئدة اللهفة ، والأمة المتحيرة ، والبرية الضائعة واظهر بزواله الحدود المعطلة ، والسنن الدائرة ، والأحكام المهملة ، والمعالم المتغيرة ، والآيات المحرفة ، والمدارس المهجورة ، والمحاريب المجفوة ، والمشاهد المهدومة ، واشبع به الخماص السابغة ، واروِ به اللهوات اللاغبة والأكباد الضامية ، وأرح به الأقدام المتعبة ، وأطرقه ببلية لا أخت لها ، وبساعة لا مثوى فيها ، وبنكبة لا انتعاش معها ، وبعثرة لا إقالة منها ، أبح حريمه ، ونغص نعيمه ، وأره بطشتك الكبرى ، ونقمتك المثلى ، وقدرتك التي هي فوق قدرته ، وسلطانك الذي هو أعز من سلطانه ، وأغلبه لي بقوتك القوية ، ومحالك الشديد ، وامنعني منه بمنعك ، وابتله بفقر لا يجبره ، وبسوء لا يستره ، وكله إلى نفسه فيما تريد أنك فعال لما تريد ، وابره من حولك وقوتك ، وكله إلى حوله وقوته وأزل مكره بمكرك ، وادفع مشيئته بمشيئتك ، واسقم جسده ، وأيتم ولده ونقص أجله ، وخيب أمله ، وأزل دولته ، وأطل عولته ، واجعل شغله في بدنه ، ولا تفكه من حزنه وصير كيده في ضلال وأمره إلى زوال ونعمت إلى انتقال وجده في سفال وسلطانه في اضمحلال ، وعاقبته إلى شر مآل وأمته بغيظه إن أمته ، أبقه بحسرته إن أبقيته ، وقني شره وهمزه ولمزه وسطوته وعداوته ، والمحه لمحة تدمر بها عليه ، فإنك اشد باساً وأشد تنكيلاً ..][44].

٤/ دعاء الحجاب :

كان (عليه السلام) يتحجب بهذا الدعاء ويتقي به شر من يخاف شره :

[توكلت على الحي الذي لا يموت ، وتحصنت بذي العزة والجبروت واستعنت بذي الكبرياء والملكوت ، مولاي استسلمت إليك فلا تسلمني ، وتوكلت عليك فلا تخذلني ، والتجأت إلى ظلك البسيط فلا تطرحني ، أنت الطلب واليك المهرب ، تعلم ما أخفي وما أعلن ، تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، فامسك عني اللهم أيدي الظالمين من الجن والأنس أجمعين ، واشفني وعافني يا أرحم الراحمين][45].

٥/ دعاء الجوشن الصغير :

على أثر تهديد الخليفة الهادي العباسي للإمام بالقتل بعد واقعة الفخ التجأ الإمام إلى الله بهذا الدعاء:

[إلهي: كم من عدو انتضى علي سيف عداوته، وشحذ لي ظبة مديته وأرهف لي

---

(44) حياة الإمام موسى بن جعفر ج ٢ ص٢٥٠

(45)حياة الإمام موسى بن جعفر ج ٢ ص٢٥٥

شبا حده، و داف لي قواتل سمومه، وسدد نحوي صوائب سهامه، و لم تنم عني عين حراسته، واضمر أن يسومني المكروه ويجرعني ذعاف مرارته، فنظرت إلي ضعفي عن احتمال الفوادح، وعجزي عن الانتصار ممن قصدني بمحاربته، ووحدتي في كثير ناوأني، وأرصد لي فيما لم اعمل فيه فكري في الإرصاد لهم بمثله، فأيدتني بقوتك وشددت أزري بنصرتك، وفللت لي شبا حده، وخذلته بعد جمع عديدة وحشده، وأعليت كعبي عليه، ووجهت ما سدد إلي من مكايدته إليه، ورددته ولم يشف غليله، ولم تبرد حزازات غيظه، وقد عض عليّ أنامله، و أدبر مولياً قد أخفقت سراياه فلك الحمد يا رب من مقتدراً لا يغلب وذي أناة لا يعجل صل علي محمد وآل محمد، واجعلني لأنعمك من الشاكرين، ولآلائك من الذاكرين.

الهي وكم من باغ بغاني بمكائده، ونصب لي أشراك مصائده ووكل بي تفقد رعايته، واضبأ لي اضباء السبع لطريدته انتظاراً لانتهاز فرصته، وهو يظهر لي بشاشة الملق، ويبسط لي وجهاً غير طلق فلما رأيت دغل سريرته، وقبح ما انطوى عليه لشريكه في ملّته، وأصبح مجلباً إلي في بغيه أر كسته لأم رأسه وأتيت بنيانه من أساسه فصرعنه في زبيته و أرديته في مهوى حفرته ورميته بحجره وخنقته بوتره وذكيته بمشاقصته وككبته بمنخره ورددت كيده في نحره وربقته بندامته وفتنته بحسرته فستخذل وأستأخذأ وتضاءل بعد نخوته ، وانقمع بعد استطالته ذليلا مأسوراً في ربق حبائله التي كان يؤمل أن ، يراني فيها يوم سطوته وقد كدت لو لا رحمتك يحلّ بي ما حل بساحته فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يغلب وذي أناة لا يعجل صل علي محمد وآل محمد واجعلني لانعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين.

الهي وكم من حاسد شرق بحسده وشجا بغيظه، وسلقني بحد لسانه و وخزني بمؤق عينه، وجعل عرضي غرضاً لمراميه، وقلدني خلالاً لم يذل فيه، فناديتك يا رب مستجيراً بك، واثقاً من سرعة إجابتك متوكلا علي ما لم أزل اعرفه من حسن دفاعك عالماً انه لم يضطهد من آوى إلى ظل كنفك وان لا تفزع الفوادح لمن لجأ إلى معقل الانتصار بك، وحصنتني من بأسه بقدرتك فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يغلب وذي أناة لا يعجل صل علي محمد وآل محمد واجعلني لانعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين.

الهي وكم من سحائب مكروه قد جليتها، وسماء نعمة أمطرتها و جداول كرامة أجريتها وعين أحداث طمستها وناشئة ورحمة نشرتها وجنة عافية ألبستها، وغوامر كربات كشفتها، وأمور جارية قدرتها لم تعجزك إذ طلبتها، ولم تمتنع عليك إذ أردتها فلك الحمد يارب من مقتدر لا يغلب وذي أناة لا يعجل صل علي محمد وآل محمد واجعلني لانعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين.

الهي وكم من ظن حسنا حققته ومن عدم إملاق جبرته ومن مسكنه فادحه حولت ومن صرعة مهلكة انعشت و من مشقة أزحت لا تسأل يا سيدي عما تفعل وهم يسألون، ولا ينقصك ما أنفقت ولقد سالت فأعطيت ولم تسأل فابتدأت واستميح

بعض فضلك فما اكديت، أبيت إلا انعاماً وأمتناناً وإلا تطولا يا رب واحساناً أبيت يا رب إلا إنتهاكاً لحرماتك وأجتراءاً علي معاصيك وتعدياً لحدودك وغفلة عن وعيدك وطاعة لعدوي وعدوك لم يمنعك يا إلهي وناصري اخلالي بالشكر عن إتمام إحسانك ، ولا حجزني ذلك عن ارتكاب مساخطك ، اللهم : فهذا مقام عبد ذليل اعترف لك بالتوحيد وأقر على نفسه بالتقصير في أداء حقك وشهد لك بسبوغ نعمتك عليه ، وجميل عاداتك عنده وإحسانك إليه ، فهب لي يا إلهي وسيدي من فضلك ما أريده سبباً ألي رحمتك واتخذه سلماً أعرج فيه إلي مرضاتك وآمن به من سخطك بعزتك وطولك وبحق محمد نبيك والأئمة صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ، فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يغلب ، وذي أناة لا يعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لأنعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين.

إلهي: وكم من عبد أمسى وأصبح في كرب الموت وحشرجة الصدر والنظر إلي ما تقشعر منه الجلود وتفزع إليه القلوب وأنا في عافية من ذلك كله، فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يغلب، وذي أناة لا يعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لأنعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين.

إلهي: وكم من عبد أمسى سقيماً موجعاً مدنفاً في أنين وعويل يتقلب في غمه ولا يجد محيصاً ولا يسيغ طعاماً ولا يستعذب شراباً ولا يستطيع ضراً ولا نفعاً وهو في حسرة وندامة وأنا في صحة من البدن وسلامة من العيش كل ذلك منك، فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يغلب، وذي أناة لا يعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لأنعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين.

إلهي: وكم من عبد أمسى وأصبح خائفاً مرعوباً مسهداً مشفقاً وحيداً وجاهلاً هارباً طريداً أو منحجزاً في مضيق أو مخبأة من المخابيء قد ضاقت عليه الأرض برحبها فلا يجد حيلة ولا منجا ولا مأوى ولا مهرباً وأنا في أمن وأمان وطمأنينة وعافية من ذلك كله، فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يغلب، وذي أناة لا يعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لأنعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين.

إلهي وسيدي كم من عبد أمسى وأصبح مغلولاً مكبلاً بالحديد بأيدي العداة لا يرحمونه فقيداً من بلده وولده وأهله منقطعاً عن إخوانه يتوقع كل ساعة بأية قتلة يقتل أو بأي مثلة يمثل وأنا في عافية من ذلك كله، فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يغلب، وذي أناة لا يعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لأنعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين.

إلهي وسيدي وكم من عبد أمسى وأصبح يقاسي الحرب ومباشرة القتال بنفسه قد غشيته الأعداء من كل جانب والسيوف والرماح وآلة الحرب يتقعقع في الحديد مبلغ مجهوده ولا يعرف حيلة ولا يهتدي سبيلاً ولا يجد مهرباً وقد ادنف بالجراحات أو متشحطاً بدمه تحت السنابك والأرجل يتمني شربة من ماء أو نظرة إلى أهله وولده لا يقدر عليها وأنا في عافية من ذلك كله، فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يغلب، وذي

أناة لا يعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لأنعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين.

إلهي: وكم من عبد أمسى وأصبح في ظلمات البحار وعواصف الرياح والأهوال والأمواج يتوقع الغرق والهلاك لا يقدر على حيلة أو مبتلى بصاعقة أو هدم أو حرق أو شرق أو خسف أو مسخ أو قذف وأنا في عافية من ذلك كله، فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يغلب، وذي أناة لا يعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لأنعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين.

إلهي: وكم من عبد أمسى وأصبح مسافراً شاحطاً عن أهله ووطنه وولده متحيراً في المفاوز تائهاً مع الوحوش والبهائم والهوام وحيداً لا يعرف حيلة ولا يهتدي سبيلاً أو متأذياً ببرد أو حر أو جوع أو عرى أو غيره من الشدائد مما أنا منه خلو وأنا في عافية من ذلك كله، فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يغلب، وذي أناة لا يعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لأنعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين.

إلهي: وكم من عبد أمسى وأصبح فقيراً عائلاً عارياً مملقاً مخفقاً مهجوراً جائعاً خائفاً ظمآناً ينتظر من يعود عليه بفضل، أو عبد وجيه هو أوجه مني عندك أو أشد عبادة لك مغلولاً مقهوراً قد حمل ثقلاً من تعب العناء وشدة العبودية وكلفة الرق وثقل الضريبة أو مبتلى ببلاء شديد لا قبل له به إلا بمنك عليه وأنا المخدوم المنعم المعافى المكرم في عافية مما هو فيه، فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يغلب، وذي أناة لا يعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لأنعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين.

إلهي: وسيدي ومولاي وكم من عبد أمسى وأصبح شريداً طريداً متحيراً جائعاً خائفاً حاسراً في الصحاري والبراري أحرقه الحر والبرد وهو في ضر من العيش وضنك من الحياة وذل من المقام ينظر إلي نفسه حسرة لا يقدر على ضر ولا نفع وأنا خلو من ذلك كله بجودك وكرمك فلا إله إلا أنت سبحانك من مقتدر لا يغلب، وذي أناة لا يعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لأنعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين وارحمني برحمتك يا أرحم الراحمين.

مولاي وسيدي وكم من عبد أمسى وأصبح عليلاً مريضاً سقيماً مدنفاً على فرش العلة وفي لباسها يتقلب يميناً وشمالاً لا يعرف شيئاً من لذة الطعام ولا من لذة الشراب ينظر إلى نفسه حسرة لا يستطيع ضراً ولا نفعاً وأنا من ذلك كله بجودك وكرمك فلا إله إلا أنت سبحانك من مقتدر لا يغلب وذي أناة لا يعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لك من العابدين و لأنعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين وارحمني برحمتك يا ارحم الراحمين.

مولاي وسيدي وكم من عبد أمسى وأصبح قد دنا يومه من حتفه وقد أحدق به ملك الموت في أعوانه يعالج سكرات الموت وحياضه، تدور عيناه يمينا وشمالاً لا ينظر إلي أحبائه وأودائه وإخلائه قد منع عن الكلام وحجب عن الخطاب ينظر إلي نفسه حسرة فلا يستطيع لها نفعاً ولا ضراً وأنا خلو من ذلك كله بجودك وكرمك فلا إله

إلا أنت سبحانك من مقتدر لا يغلب، وذي أناة لا يعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لأنعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين وارحمني برحمتك يا أرحم الراحمين.

مولاي وسيدي وكم من عبد أمسى وأصبح في مضايق الحبوس والسجون وكربها وذلها وحديدها يتداوله أعوانها وزبانيتها فلا يدري أي حال يفعل به وأي مثلة به فهو في ضر من العيش وضنك من الحياة ينظر إلي نفسه حسرة لا يستطيع لها ضراً ولا نفعاً وأنا خلو من ذلك كله بجودك وكرمك فلا إله إلا أنت سبحانك من مقتدر لا يغلب وذي أناة لا يعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لك من العابدين و لأنعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين وارحمني برحمتك يا ارحم الراحمين.

مولاى وسيدي وكم منعبد أمسى وأصبح قد استمر عليه القضاء وأحدق به البلاء وفارق أوداءه وأحباءه وأخلاءه وأمسى أسيراً ذليلاً في ايدي الكفار والأعداء يتداولونه يميناً وشمالاً قد حصر في المطامير وثقل بالحديد لا يرى شيئاً من ضياء الدنيا ولا من روحها ينظر إلى نفسه حسرة لا يستطيع لها ضراً ولا نفعاً وأنا خلو من ذلك كله بجودك وكرمك فلا إله إلا أنت سبحانك من مقتدر لا يغلب وذي أناة لا يعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لك من العابدين و لأنعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين وارحمني برحمتك يا ارحم الراحمين.

مولاى وسيدي وكم من عبد أمسى وأصبح قد اشتاق إلى الدنيا للرغبة فيها إلى أن خاطر بنفسه وماله حرصاً منه عليها قد ركب الفلك وكسرت به وهو في آفاق البحار وظلمها ينظر إلى نفسه حسرة لا يقدر لها على ضر ولا نفع وأنا خلو من ذلك كله وأنا خلو من ذلك كله بجودك وكرمك فلا إله إلا أنت سبحانك من مقتدر لا يغلب وذي أناة لا يعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لك من العابدين و لأنعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين وارحمني برحمتك يا ارحم الراحمين.

مولاى وسيدي وكم من عبد أمسى وأصبح قد استمر عليه القضاء وأحدق به البلاء والكفار والأعداء وأخذته الرماح والسيوف و السهام وجدّل صريعاً وقد شربت الأرض من دمه وأكلت السباع والطيور من لحمه وأنا خلو من ذلك كله وأنا خلو من ذلك كله بجودك وكرمك لا باستحقاق من يا لا إله إلا أنت سبحانك من مقتدر لا يغلب وذي أناة لا يعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لك من العابدين و لأنعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين وارحمني برحمتك يا ارحم الراحمين.

وعزتك يا كريم لأطلبن مما لديك و لألحن عليك ولألجأن إليك ولأمدن يدي نحوك مع جرمها إليك فبمن أعوذ يا رب وبمن ألوذ ، لا أحد لي إلا أنت أفتردني وأنت معولي وعليك معتمدي وأسألك باسمك الذي وضعته على السماء فاستقلت وعلى الجبال فرست وعلى الأرض فاستقرت وعلى الليل فاظلم وعلى النهار فاستنار أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تقضي لي جميع حوائجي وتغفر لي ذنوبي كلها صغيرها وكبيرها وتوسع عليّ من الرزق ما تبلغني به شرف الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين .

مولاي بك استغثت فصل على محمد وآل محمد وأغثني وبك استجرت وأغنني بطاعتك عن طاعة عبادك وبمسألتك عن مسألة خلقك وانقلني من ذل الفقر إلى ز الغنى ومن ذل المعاصي إلى عز الطاعة فقد فضلتني على كثير من خلقك جوداً وكرماً لا باستحقاق مني .

إلهي فلك الحمد على ذلك كله صل على محمد وآل محمد واجعلني لنعمائك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين وارحمني برحمتك يا أحم الراحمين](٤٦) .

٦/ دعاء كفاية البلاء :

صمم الرشيد على قتل الإمام ذات ليلة وأرسل حاجبه الفضل لاعتقال الإمام في منتصف الليل وما أن وصل الإمام إلى مجلس الرشيد وإذا به يعتذر إليه ويطلق سراحه !!.

وتعجب الفضل من تغيّر موقف هارون وسأل الإمام : ما الذي قلت حتى كفيت أمر الرشيد ؟

قال (عليه السلام) : دعاء جدي علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان إذا دعا به ما برز إلى عسكر إلا هزمه ، ولا إلى فارس إلا قهره ، وهو دعاء كفاية البلاء وهو :

[اللهم بك أساور و وبك أحاول ، وبك أجاور ، وبك أصول ، وبك أنتصر ، وبك أموت ، وبك أحيا ، أسلمت نفسي إليك وفوضت أمري إليك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، اللهم إنك خلقتني ورزقتني وسترتني عن العباد ، بلطف ما خولتني أغنيتني ، فإذا هويت رددتني ، وإذا عثرت قومتني ، وإذا مرضت شفيتني ، وإذا دعوت أجبتني ، يا سيدي ، ارض عني فقد أرضيتني](٤٧) .

٧/ دعاء قصير :

في بحار الأنوار عن مهج الدعوات بإسناد صحيح عن عبد الله بن مالك النزاعي قال : دعاني هارون الرشيد فقال : يا أبا عبد الله كيف أنت وموضع السر منك ؟

عبد الله : يا أمير المؤمنين ما أنا إلا عبد من عبيدك .

هارون : أمضي إلى تلك الحجرة وخذ من فيها واحتفظ به إلى أن أسألك عنه

قال عبد الله : فدخلت فوجدت موسى بن جعفر (عليه السلام) فلما رآني سلمت عليه وحملته على دابتي إلى منزلي فأدخلته داري وجعلته مع حرمي ، وقفلت عليه بالمفتاح معي وكنت أتولي خدمته ، ومضت الأيام فلم أشعر إلا برسول الرشيد يقول : أجب أمير المؤمنين .

---

(46) يعرف هذا الدعاء بدعاء الجوشن الصغير ، وقد ذكره السيد ان طاووس في مهج الدعوات (ص٢٢٠ -٤٢٧) والشيخ عباس القمي في مفاتيح الجنان نقلاً عن الكفعمي في هامش كتاب البلد الأمين ، وذكره ابن شهراشوب في المناقب ، وقد اختلفت نسخ الدعاء في هذه المصادر .

(47) حياة الإمام موسى بن جعفر ج ٢ ص٤٧٩

فنهضت ودخلت عليه وهو جالس وعن يمينه فراش وعن يساره فراش ، فسلمت عليه فلم يردّ غير أنه قال : ما فعلت بالوديعة ؟

فكأني لم أفهم ما قال .

فقال لي : ما فعل صاحبك ؟

عبد اللّه : صالح .

هارون : أمض إليه وادفع إليه ثلاثة آلاف درهم واصرفه إلى منزله وأهله .

فقمت وهممت بالانصراف فقال لي : أتدري ما السبب في ذلك وما هو ؟

عبد اللّه : لا يا أمير المؤمنين .

هارون : نمت على الفراش الذي عن يميني فرأيت في منامي قائلاً يقول لي : يا هارون أطلق موسى بن جعفر فانتبهت فقلت : لعلها لما في نفسي .. فقمت إلى هذا الفراش الآخر فرأيت ذلك الشخص بعينه وهو يقول : يا هارون أمرتك أن تطلق موسى بن جعفر فلم تفعل !! فانتبهت وتعوذت من الشيطان ..

ثم قمت إلى هذا الفراش الذي أنا عليه وإذا بذلك الشخص بعينه وبيده حربة كأن أولها بالمشرق وآخرها بالمغرب وقد أومأ إلى وهو يقول : واللّه يا هارون لئن لم تطلق موسى بن جعفر لأضعن هذه الحربة في صدرك وأطلعها من ظهرك !!

فأرسلت إليك فامضي فيما أمرتك به ولا تظهره إلى أحد فأقتلك فانظر لنفسك .

قال عبد اللّه : فرجعت إلى منزلي وفتحت الحجرة ودخلت على موسى بن جعفر (عليه السلام) فوجدته قد نام في سجوده فجلست حتى استيقظ ورفع رأسه وقال : يا عبد اللّه افعل ما أمرت به .

فقلت له : يا مولاى سألتك باللّه وبحق جدك رسول اللّه هل دعوت اللّه عز وجل في يومك هذا بالفرج ؟

فقال الإمام : أجل إني صليت المفروضة وسجدت وغفوت فرأيت رسول اللّه صلي اللّه عليه وآله فقال : يا موسى أتحب أن تطلق ؟ فقلت : نعم يا رسول اللّه فقال : ادع بهذا الدعاء :

[يا سابغ النعم و يا دافع النقم ، يا بارئ النسم ، يا مجلي الهمم ، يا مغشي الظلم ، يا كاشف الضر والألم و يا ذا الجود والكرم و يا سامع كل صوت ، ويا مدرك كل فوت ، ويا محيي العظام وهي رميم ومنشئها بعد الموت ، صلي على محمد وآل محمد ، واجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً يا ذا الجلال والإكرام][٤٨].

٨/ في الصلاة للخلاص من السجن :

عن الربيع في حديث ذكر فيه : إن هارون بعثه إلى موسى بن جعفر (عليه السلام) ، وكان في حبسه أن يطلقه ويكرمه ، وذكر له ما رآه في منامه ، وأنه أتي إليه بالمال ، وسأله عن سبب ذلك ، فقال (عليه السلام) : نمت ليلة الأربعاء بعد صلاة الليل

(48) البحار ج ٤٨ ص ٢٤٦

، وقد هومت عيناي ، فرأيت جدي رسول اللّه صلي اللّه عليه وآله وسلم وهو يقول يا موسى : أنت محبوس مظلوم ، قلت نعم يا رسول اللّه ! فقال صلي اللّه عليه وآله : وأن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ، أصبح غداً صائماً ، واتبعه الخميس والجمعة ، فإذا كان بعد صلاة العشاء من ليلة السبت ، تصلي إثني عشر ركعة ،تقرأ في كل ركعة الحمد و وقل هو اللّه إثني عشر ، فإذا فرغت من الصلاة فاجلس من بعد التسليم ، وقل : اللهم يا سابق الفوت ، ويا سامع الصوت ، ويا محيي العظام بعد الموت وهي رميم ، أسألك باسمك العظيم الأعظم أن تصلي على محمد وآله عبدك ورسولك ، وعلى آل بيته الطاهرين ، وتعجل لي الفرج مما أنا ممنو به ، وصال بحره ، يا رب العالمين . ففعلت ذلك فكان ما رأيت .

وعن الفضل بن الربيع قال : كنت ذات ليلة فراشي مع بعض جواري فلما كان نصف الليل سمعت حركة باب المقصورة فراعني ذلك ، فقالت الجارية لعل هذا من الريح ، فلم يمض إلا يسيراً حتى رأيت باب البيت الذي كنت فيه قد فتح ، وإذا مسرور الكبير قد دخل عليّ ، فقال لي أجب الأمير" إلى أن قال " وخرجت معه حتى أتيت الدار ، فسلمت على أمير المؤمنين وهو في مرقده فرد علي السلام "إلى أن قال " قال لي سر إلى حبسنا ، فأخرج موسى بن جعفر بن محمد ، وادفع إليه ثلاثين ألف درهم فاخلع عليه خمس خلع ، واحمله على ثلاثة مراكب ، "إلى أن قال " ووافيت موسى بن جعفر (عليه السلام) وهو في حبسه فرأيته قائماً يصلي ، فجلست حتى سلم ، ثم أبلغت سلام أمير المؤمنين وأعلمته بالذي أمرني به في أمره ، وأني قد أحضرت ما أوصله به ، فقال : إن كنت أمرت بشيء غير هذا فافعله ، فقلت : لا وحق جدك رسول اللّه صلي اللّه عليه وآله ما أمرت إلا بهذا فقال : لا حاجة لي في الخلع والحملان والمال كانت في حقوق الأئمة فقلت : ناشدتك باللّه أن لا ترده فيغتاظ فقال : اعمل به ما أحببت ، فأخذت بيده (عليه السلام) وأخرجته من السجن ثم قلت له يا ابن رسول اللّه : أخبرني ما السبب الذي نلت بهذه الكرامة من هذا الرجل فقد وجب حقي عليك لبشارتي إياك ولما أجراه اللّه عز وجل على يدي من هذا الأمر؟ فقال (عليه السلام): رأيت النبي صلي اللّه عليه وآله ليلة الأربعاء في النوم ، فقال لي: يا موسى! أنت محبوس مظلوم، فقلت: نعم يا رسول اللّه محبوس مظلوم، فكرر ذلك ثلاثاً، ثم قال: وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين، أصبح غداً صائماً، واتبعه بصيام الخميس والجمعة، فإذا كان وقت الإفطار، فصل اثنتي عشر ركعة، تقرأ في كل ركعة الحمد مرة واثنتي عشر مرة قل هو اللّه أحد، فإذا صليت منها أربع ركعات فاسجد، ثم قل: يا سابق الفوت يا سامع كل صوت يا محيي العظام بعد الموت وهي رميم، أسألك باسمك العظيم الأعظم، أن تصلي على محمد عبدك ورسولك، وعلى أهل بيته الطاهرين، وأن تجعل لي الفرج مما أنا فيه، ففعلت فكان الذي رأيت.

وعن علي بن إبراهيم بن هاشم قال: سمعت رجلاً من أصحابنا يقول: لما حبس الرشيد موسى بن جعفر جن عليه الليل فخاف ناحية هارون أن يقتله فجدد موسى

طهوره فاستقبل بوجهه القبلة،وصلي لله عز وجل أربع ركعات ثم دعا بهذه الدعوات،فقال: يا سيدي نجني من حبس هارون،وخلصني من يده،يا مخلص الشجر من بين رمل وطين،ويا مخلص اللبن من بين فرث ودم،ويا مخلص الولد من بين مشيمة ورحم،ويا مخلص النار من بين الحديد والحجر،ويا مخلص الروح من بين الاحشاء والامعاء،خلصني من يدي هارون.

فلما دعا موسى بهذه الدعوات أتي هارون رجل أسود في منامه،وبيده سيف قد سله فوقف على رأس هارون وهو يقول: يا هارون أطلق عن موسى بن جعفر وإلا ضربت علاوتك بسيفي هذا،فخاف هارون في هيبته، ثم دعا الحاجب فجاء الحاجب،فقال اذهب إلى السجن،فأطلق عن موسى بن جعفر ، الحديث .

عن زياد القندي قال: كتبت إلى أبي الحسن الأول (عليه السلام) علمني دعاء،فإني قد بليت بشيء وكان قد حبس ببغداد ، حيث اتهم بأموالهم ، فكتب إليه ، إذا صليت فأطل السجود ، ثم قل: يا أحد من لا أحد له حتى ينقطع النفس،ثم قل: يا من لا يزيده كثرة الدعاء إلا جوداً وكرماً حتى ينقطع نفسك ثم قل: يا رب الأرباب أنت أنت أنت الذي انقطع الرجاء إلا منك يا علي يا عظيم قال زياد: فدعوت به،ففرج الله عني وخلى سبيلي[٤٩] .

التفرغ للعبادة:

أما ظلمات السجون فقد حولها الإمام إلى محراب عبادة تضيء بأنوار مناجاته،وأوراد صلاته حتى لقد تأثر كل من شاهده في السجن من عظيم عبادته وخضوعه.

وكان (عليه السلام) يشكر الله أن أتاح له فرصة التفرغ لعباته في السجن بعيداً عن مختلف المشاغل والأعمال ويردد دائماً قوله:

[اللهم إنك تعلم أني كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك اللهم وقد فعلت فلك الحمد].

يتحدث عبد الله القزويني عما شاهده من عبادة الإمام في سجن الفضل بن الربيع ببغداد فيقول:

دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالس على سطح داره فقال لي أدن مني. فدنوت منه حتى حاذيته فقال لي: أشرف على الدار.

فأشرف عبد الله على الدار فقال له الفضل:

ما ترى في البيت؟

عبد الله: أرى ثوباً مطوحاً.

الفضل:انظر حسناً.

فتأمل عبد الله بنظره جيداً ثم قال: رجل ساجد.

(49) الفقه كتاب الصلاة للسيد الشيرازي ج ٧ ص ٢٨١

الفضل: هل تعرفه؟

عبد اللّه: لا.

الفضل: هذا مولاك.

عبد اللّه: هذا مولاى؟!.

الفضل تتجاهل علي؟!

عبد اللّه: ما أتجاهل ولكن لا أعرف لي مولى.

الفضل: هذا أبو الحسن موسى بن جعفر.

وأخذ الفضل يحدث عبد اللّه عن عبادة الإمام قائلاً:

إني أتفقده الليل والنهار فلم أجده في وقت من الأوقات إلا على الحال التي أخبرك بها أنه يصلي الفجر، فيعقب ساعة في دبر صلاته إلى أن تطلع الشمس، وقد وكل من يترصد له الزوال، فلسُت أدري متى يقول الغلام زالت الشمس؟ إذ يثب ويبتدئ بالصلاة من غير أن يجدد الوضوء، فاعلم أنه لم ينم في سجوده ولا غفى، فلا يزال كذلك إلى أن يفرغ من صلاة العصر، فإذا صلى العصر سجد سجدة فلا يزال ساجداً إلى أن تغيب الشمس، فإذا غابت وثب من سجدته فصلى المغرب من غير أن يحدث حدثاً، ولا يزال في صلاته وتعقيبه إلى أن يصلي العتمة، ثم يسجد، ثم يرفع رأسه على شوي يؤتى به ثم يجدد الوضوء، ثم يقوم فلا يزال يصلي في جوف الليل حتى يطلع الفجر، فلست أدري متى يقول الغلام أن الفجر قد طلع؟ إذ قد وثب هو لصلاة الفجر فهذا دأبه منذ حوّل إلي[٥٠].

وأطل هارون الرشيد يوماً من أعلى قصره إلى سجن الإمام فرأى ثوباً مطروحاً في مكان خاص لم يتغير موضعه فقال للفضل:

ما ذاك الثوب الذي أراه كل يوم في ذلك الموضع؟

يا أمير المؤمنين ما ذاك بثوب وإنما هو موسى بن جعفر له في كل يوم سجدة بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال .

فانبهر هارون وقال:

أما أن هذا من رهبان بني !

فالتفت إليه الفضل ليغتنم فرصة هذا المشهد وتأثيره على نفس الرشيد قائلاً:

يا أمير المؤمنين ما لك ضيقت عليه في الحبس؟

ولكن قلب الرشيد المتعلق بالسلطة والحكم كان أقسى من التأثير الإنساني فأجابه فوراً:

هيهات لا بد من ذلك[٥١].

وروت شقيقة السندي بن شاهك حينما سجن الإمام عند أخيها عن عبادة الإمام

---

(50) حياة الإمام موسى بن جعفر ج ٢ ص٤٦٩ و البحار ج ٤٨ ص ٢١٠

(51)حياة الإمام موسى بن جعفر ج ٢ ص ٤٧١

فقالت: (إنه إذا صلى العتمة حمد الله ومجده ودعاه إلى أن يزول الليل، ثم يقوم ويصلى حتى يطلع الصبح، فيصلي الصبح، ثم يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم يعقب إلى ارتفاع الضحى، ثم يرقد ويستيقظ قبل الزوال، ثم يتوضأ ويصلي حتى يصلي العصر، ثم يذكر الله حتى يصلي المغرب، ثم يصلي ما بين المغرب والعتمة، فكان هذا دأبه إلى أن مات)[٥٢]

وكانت شقيقة السندي إذا نظرت إلى الإمام كذلك أرسلت ما في عينيها من دموع وهي تقول: (خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل).

ومادام الإنسان رهين السجن وبعيداً عن كل عمل ونشاط فلا أفضل من المواظبة على طاعة الله وتكثيف عبادته لتحصيل المزيد من ثواب الله ورضوانه في الآخرة، ولتهذيب الروح وسمو النفس باقترابها من الله وانفتاحها على أنوار قدسه..

وهذا ما يريده الإمام الكاظم (عليه السلام) قوله لكل مؤمن سجين..

التأثير على اتباع السلطة:

ليس كل من يعمل في أجهزة السلطة عارفاً بحقيقتها راض عن سياستها.. بل إن أكثرهم قادهم الجهل أو الفقر أو دفعتهم المصالح والشهوات لخدمة السلطة الظالمة وهم بالتالي جزء من الشعب المستضعف المحروم الذي يعيش تحت وطأة الإرهاب والتضليل.

من هنا فالرسالي الثائر لا يضمر الحقد لهؤلاء الموظفين الصغار والعاملين بجهل في سلك الدولة وإنما يوجه حقده وعداوته نحو الرؤوس الحاكمة أو كما يسميهم القرآن الحكيم أئمة الكفر يقول تعالى: { فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون }[٥٣].

أما هؤلاء الموظفون فإنهم بحاجة إلى التوعية والتوجيه ليدركوا حرمانهم واستغلال السلطة لهم ومسئوليتهم الشرعية في الدفاع عن الرسالة وعن حرية المجتمع واستقلاله..

وحتى العاملين في أجهزة قمع السلطة وإرهابها فإنهم في أعماق أنفسهم غير مقتنعين بما يقومون به من عمل إجرامي غالباً وإنما تورطوا في هذه الأعمال جهلاً أو بحثا عن لقمة العيش ومصالح الدنيا..

وعلى الرسالي أن يستثير ضمائرهم ويوقظ وجدانهم لعل الله يهديهم على يده فيأخذون موقعهم الحقيقي في مساعدة الثائرين ضد الطغاة المتسلطين فيصبحون خير عون للرسالي في ظروف السجن الخاصة ويقدمون له الخدمات المفيدة لنشاطه الثوري.

ويمارس الرسالي التأثير على نفوس من حوله في السجن بشخصيته الملتزمة وأخلاقه الرفيعة وبتقديم التوجيه والنصيحة لهم.

---

(52)حياة الإمام موسى بن جعفر ج ١ ص١٤٢

(53) حياة الإمام موسى بن جعفر ج ٢ ص ٤٩٠

وقراءة عابرة لأحوال الإمام الكاظم (عليه السلام) في السجون والمعتقلات ترينا كيف كان الإمام يهيمن على كل من تعامل معه من جنود السلطة وموظفيها..

١ - فهذا عيسى بن أبي جعفر والذي تولى سجن الإمام في البصرة يتأثر بشخصية الإمام ويرفض أمر الرشيد باغتياله ويكتب رسالة يكبر فيها سيرة الإمام وسلوكه..(كما مر علينا سابقاً).

٢ - والفضل بن الربيع مع أنه وزير الرشيد إلا أنه حينما كلفه الرشيد بسجن الإمام وشاهد عبادة الإمام وتقواه وعظمة شخصيته أصبح مدافعاً عن حياة الإمام رافضاً لأوامر الرشيد باغتياله حتى قال: (قد أرسلوا إلى غير مرة يأمروني بقتله فلم أجبهم إلى ذلك وأعلمتهم أني لا أفعل ذلك ولو قتلوني ما أجبتهم إلى ما سألوني).

٣ - وفي سجنه الثاني ببغداد كان مسؤول السجن أحد المقربين من الرشيد الفضل بن يحيى والذي أعجب بشخصية الإمام فرفه عليه في سجنه حتى وصلت أخبار ذلك إلى الرشيد فغضب على الفضل وأمر بتجريده من ثيابه وضربه مائة سوط ثم تبرأ منه في مجلسه وقال:

(أيها الناس إن الفضل بن يحيى قد عصاني وخالف طاعتي ورأيت أن ألعنه فألعنوه).

٤ - وأخت السندي بن شاهك هي الأخرى تأثرت بشخصية الإمام وحدثت الناس عن عبادته وكانت تقول باكية: (خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل).

و انغرست بذرة الولاء للأئمة في بيت السندي فأصبح حفيده كشاجم الشاعر المشهور والكاتب المعروف من شعراء أهل البيت المجاهدين وله قصائد كثيرة في مدحهم.

٥ - وقد وكل السندي بشاراً مولاه لحراسة الإمام في السجن وكان من أشد الناس بغضاً لآل أبي طالب ولكنه لم يلبث أن تغير حاله،وثاب إلى الطريق الحق وذلك لما رآه من كرامات الإمام و معاجزه وقام ببعض الخدمات له[٥٤].

٦ - وتلك الجارية الحسناء التي نشأت في قصر هارون الرشيد بكل ما فيه من فساد وضلال والتي اختارها الرشيد لتقوم بدور إغراء الإمام إلا أنها تحولت في السجن وببركات توجيهات الإمام إلى مؤمنة عابدة ثم اعتقلها الرشيد فلم تترك عبادتها وإذا سئلت عن ذلك قالت: هكذا رأيت العبد الصالح[٥٥].

٧ -وكان المسيب بن زهرة موكلاً بحراسة الإمام (عليه السلام) أو أنه نقل من حبس السندي إلى داره على ما يستفاد من بعض المصادر وكان الرجل من دعاة الدولة العباسية ، فقد ولي شرطة بغداد أيام المنصور والمهدي والرشيد ،كما ولي خراسان أيام المهدي وكان على جانب من الغلظة والشدة،فكان أبو جعفر المنصور إذا أراد

---

(54) حياة الإمام موسى بن جعفر ج ٢ ص٤٨٧

(55) حياة الإمام موسى بن جعفر ج ٢ ص٥٠١

برجل شراً أمر بتسليمه إلى المسيب ولما حبس الإمام عنده أو وكل بحبسه أثر عليه الإمام وهيمن على مشاعره فاهتدي إلى طريق الحق والصواب فكان من أخلص الشيعة ومن حملة أسرار الأئمة. وقد استدعاه الإمام قبل وفاته بثلاثة أيام فلما مثل عنده قال له :

يا مسيب.

لبيك يا مولاي.

إنـي ظاعن في هذه الليلة إلى المدينة مدينة جدي رسول الله صلي الله عليه وآله لأعهد إلى علي أبني ما عهده أليّ آبائي وأجعله وصيي وخليفتي، وآمره بأمري.

يا مولاي، كيف تأمرني أن أتح لك الأبواب واقفالها والحرس معي على الأبواب؟!

يا مسيب ضعف يقينك في الله عز وجل وفينا؟

لا يا سيدي ادع الله أن يثبتني.

اللهم ثبته.

ثم قال (عليه السلام): أدعو الله عز وجل باسمه العظيم الذي دعا به آصف حين جاء بسرير بلقيس فوضعه بين يدي سليمان قبل ارتداد طرفه إليه، حتى يجمع بيني وبين علي أبني بالمدينة.

قال المسيب: فسمعته يدعو، ففقدته عن مصلاه فلم أزل قائماً على قدمي حتى رأيته قد عاد إلى مكانه وأعاد الحديد إلى رجليه فوقعت على وجهي ساجداً شاكر الله على ما أنعم ب علي من معرفته.

والتفت الإمام (عليه السلام) له فقال: يا مسيب ارفع رأسك، واعلم أني راحل إلى الله عز وجل في ثالث هذا اليوم.

قال المسيب: فبكيت، فلما رآني الإمام وأنا باك قال لي: لا تبك يا مسيب فإن علياً ابني هو إمامك ومولاك بعدي فاستمسك بولايته فإنك لن تضل ما لزمته.

قال المسيب: الحمد لله على ذلك[٥٦].

التحرك الرسالي من داخل السجن:

صحيح أن السلطة تستهدف إيقاف التحرك الرسالي وتجميد نشاطه باعتقاله.. ولكن الأصح أن الرسالي الكفء أذكى من مؤامرات السلطة وأقدر على تجاوز مخططاتها

لقد كان الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) قائداً للمؤمنين وإماماً للمجاهدين.. وأرادت السلطة العباسية أن تحرم جماهير الأمة وطلائعها الثائرة من توجيهات الإمام وبركات قيادته فأودعته السجون لعدة سنوات.. ولكن الإمام بمقامه الرباني وبحنكته الصائبة أفشل إرادة السلطة وخطتها وكان يقوم بأعباء دوره القيادي متخطياً حواجز السجون ورقابة السلطة..

---

(56) حياة الإمام موسى بن جعفر ج ٢ ص٥١٣

١ - ففي طريقه إلى سجن البصرة وبعد أيام من مفارقته المدينة كان يبحث عن المسافرين الثقاة ليحملهم رسائله إلى ولده الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام).

فعن عبد الله بن مرحوم قال: خرجت من البصرة أريد المدينة فلما صرت في بعض الطريق لقيت أبا إبراهيم (الإمام الكاظم) وكان في طريقه إلى الاعتقال في البصرة. فارسل (عليه السلام) نحوي فلما مثلت عنده،دفع إلى كتباً وأمرني أن أوصلها إلى المدينة فقلت له:إلى من ادفعها جعلت فداك؟

فقال: إلى أبني علي فإنه وصيي والقائم بأمري[٥٧].

٢ -ولما شاع اعتقال الإمام (عليه السلام) في البصرة أقبل علماؤها ورواة الحديث إلى الإمام فاتصلوا به من طريق خفي ، وقد رووا عنه بعض العلوم والأحكام فاتصل به (يس الزياتي) وروى عنه وصنف كتاباً ،واتصل به جماعة آخرون من العلماء البارزين فرووا عنه الشيء الكثير مما يتعلق بالتشريع الإسلامي[٥٨].

٣ - وفي سجن السندي بن شاهك ورغم قساوة السجن إلا أنه اتصل جماعة من العلماء والرواة بالإمام عن طريق خفي فانتهلوا من نمير علومه ومنهم موسى بن إبراهيم المروزي وكان معلماً لولدي السندي بن شاهك فاستغل هذه العلاقة للتردد على الإمام وقد ألف كتاباً مما سمعه من الإمام في السجن أسماه (مسند الإمام موسى بن جعفر) توجد نسخة منه في المكتبة الظاهرية بدمشق ضمن المجموع رقم(٣٤ -٧٠) ويرجع عهدها إلى القرن السادس للهجرة،ويحتوي على (٥٩) حديثاً.[٥٩]

وبملاحظة أحاديث هذا الكتاب يتبين مدى تركيز الإمام (عليه السلام) فيها على القضايا المهمة والخطيرة والتي تلامس أوضاع الأمة وترتبط بحركة الجهاد والثورة فمن تلك الأحاديث .

قال رسول الله صلي الله عليه وآله:(من اصبح من أمتي وهمته غير الله فليس من الله).

قال رسول الله صلي الله عليه وآله:(لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق).

قال صلي الله عليه وآله: (ما ازداد عبد من الشيطان دخولاً إلا ازداد من الله بعداً).

قال صلي الله عليه وآله: (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل).

وعنه(أي الإمام الكاظم) (عليه السلام): (إن الحسن والحسين كانا لا يقبلان جوائز معاوية بن أبي سفيان).

وعنه صلي الله عليه وآله: (إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين،وصره بعيوب خلقه،وزهده في الدنيا).

وعنه صلي الله عليه وآله: (يود قوم يوم القيامة أنهم سقطوا من الثريا،ولم يؤمروا

---

(57) حياة الإمام موسى بن جعفر ج ٢ ص٤٧٥

(58) حياة الإمام موسى بن جعفر ج ٢ ص٤٦٧

(59)حياة الإمام موسى بن جعفر ج ٢ ص ٣٣١

على شيء).

٤ - وأقام الإمام جماعة من تلاميذه وأصحابه فجعلهم وكلاء له في بعض المناطق الإسلامية، وارجع إليهم شيعته، لأخذ الأحكام الدينية منهم، كما وكلهم في قبض الحقوق الشرعية لصرفها على الفقراء والبائسين بنفاقها في وجوه البر والخير كالمفضل بن عمر[٦٠].

٥ - ونصب الإمام (عليه السلام) من بعده ولده الإمام الرضا (عليه السلام) فجعله مرجعاً لأمة جده فقد حدث الحسين بن مختار قال: لما كان الإمام موسى في السجن خرجت لنا ألواح من عنده وقد كتب فيها (عهدي إلى أكبر ولدي)[٦١].

٦ - وكانت بعض الأقاليم الإسلامية التي تدين بالإمامة ترسل عنها مبعوثاً خاصاً للإمام حينما كان في سجن السندي فتزوده بالفتاوى والرسائل فكان (عليه السلام) يجيبهم عنها، وممن جاءه علي بن سويد فقد اتصل بالإمام وسلم إليه الكتب والفتاوى فأجابه الإمام برسالة مفصلة عن كل ما سأل هذا نصها:

(الحمد للّه العلي العظيم الذي بعظمته ونوره ابصر قلوب المؤمنين وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغى من في السماوات والأرض إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة والأديان المتضادة فمصيب ومخطئ وضال ومهتدي، وسميع وأصم، وبصير وأعمى، حيران فالحمد للّه الذي عرف ووصف دينه محمد صلي اللّه عليه وآله.

أما بعد: فإنك امرؤ أنزلك اللّه من آل محمد بمنزلة خاصة، وحفظ مودة ما استرعاك من دينه، وما ألهمك من رشدك، وبصرك من أمر دينك بتفضيلك إياهم وبردك الأمور إليهم، كتبت تسألني عن أمور كنت منها في تقية ومن كتمانها في سعة فلما انقضى سلطان الجبابرة وجاء سلطان ذي السلطان العظيم بفراق الدنيا المذمومة إلى أهلها العتاة على خالقهم رأيت أن أفسر لك ما سألتني عنه مخافة أن تدخل الحيرة على ضعاف شيعتنا من قبل جهالهم، فاتق اللّه عز ذكره، وخص بذلك الأمر أهله أحذر أن تكون سبب بلية على الأوصياء أو حارشاً عليهم [٦٢] بإفشاء ما استودعتك، وإظهار ما استكملت وأن تفعل إن شاء اللّه.

إن أول ما أنهى إليك نفسي في ليالي هذه غير جازع ولا نادم ولا شاك فيما هو كائن مما قد قضي اللّه عز وجل وختم، فاستمسك بعروة الدين، آل محمد والعروة الوثقى الوصي بعد الوصي، والمسألة لهم والرضا بما قالوا: ولا تلتمس دين من ليس من شيعتك، ولا تحبن دينهم فإنهم الخائنون الذين خانوا أمانتهم؟ ائتمنوا على كتاب اللّه فحرفوه وبدلوه ودلوا على ولاة الأمر منهم فانصرفوا عنهم فأذاقهم اللّه لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، وسألت عن رجلين اغتصبا رجلاً مالاً كان ينفقه على

---

(60) حياة الإمام موسى بن جعفر ج ٢ ص ٤٩٣

(61) حياة الإمام موسى بن جعفر ج ٢ ص ٤٩٣

(62) التحريش: هو إغراء بعض القوم ببعض

الفقراء والمساكين وأبناء السبيل وفي سبيل الله فلما يرضيا حيث غصباه حتى حملاه إياه كرهاً فوق رقبته إلى منازلهم فلما أحزاه توليا إنفاقه أيبلغان بذلك كفراً ؟ فلعمري لقد نافقا قبل ذلك ورداً على الله عز وجل كلامه وهزئاً برسوله صلي الله عليه وآله وهما الكافران عليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، والله ما دخل قلب أحد منهما شيء من الإيمان منذ خروجهما من حالتيهما ، وما زادا إلا شكاً، كانا خداعين مرتابين منافقين حتى توفتهما ملائكة العذاب إلى محل الخذي في دار المقام .

وسألت عمن حضر ذلك الرجل وهو يغصب ماله ويوضع على رقبته منهم عارف ومنكر فأولئك أهل الردة الأولى من هذه لأمة فعليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين.

وسألت عن مبلغ علمنا، وهو على ثلاث وجوه ماض وغابر وحادث فأما الماضي فمفسر وأما الغابر فمزبور[٦٣] وأما الحادث فقذف في القلوب ونقر في الاسماع وهو أفضل علمنا، ولا نبي بعد نبينا محمد صلي الله عليه وآله. وسألت عن أمهات أولادهم وعن نكاحهم وعن طلاقهم، فأما أمهات أولادهم فهن عواهر إلى يوم القيامة نكاح بغير ولي وطلاق في غير عدة، وأما من دخل في دعوتنا فقد هدم إيمانه ضلاله ويقينه شكه، وسألت عن الزكاة فيهم فما كان من الزكاة فأنتم أحق به لأنا قد أحللنا ذلك لكم من كان منكم وأين كان .

وسألت عن الضعفاء فالضعيف، من لم يرفع إليه حجة، ولم يعرف الاختلاف، فإذا عرف الاختلاف فليس بضعيف، وسالت عن الشهادة لهم، فأقم الشهادة لله عز وجل ولو على نفسك والوالدين والأقربين فيما بينك وبينهم فإن خفت على أخيك ضيماً فلا وادع إلى شرائط الله عز ذكره من رجوت إجابته ولا تحصن بحصن رياء[٦٤] .

ووال آل محمد ولا تقل لما بلغك عنا ونسب إلينا هذا باطلاً وإن كنت تعرف منا خلافه فإنك لا تدري لما قلناه وعلى أي وجه وضعناه، آمن بما أخبرك، ولا تفش بما استكتمناك من خبرك، إن من واجب حق أخيك أن لا تكتمه شيئاً تنفعه به لأمر دنياه وآخرته ولا تحقد عليه وإن أساء واجب دعوته إذا دعاك ولا تخل بينه وبين عدوه من الناس وإن كان أقرب إليه منك وعده في مرضه، ليس من أخلاق المؤمن الغش ولا الأذى، ولا الخيانة ولا الكبر ولا الخنا ولا الفحش ولا الأمر به فإذا رأيت انكسفت الشمس فارفع بصرك إلى السماء وانظر ما فعل الله بالمجرمين ، فقد فسرت لك جملاً مجملاً، و صلي الله عليه وآله الأخيار..)([٦٥]).

---

(63) في بعض النسخ : فمرموز

(64) في بعض النسخ : (ولا تحضر حصن الزنا)

(65) البحار ج ٤٨ ص ٢٤٢

وفي الختام

حدث أبو الأزهر بن ناصح البرجحي قال:

اجتمعت مع ابن السكيت العالم النحوي المشهور في مسجد يقع بالقرب من دار السندي، فدارت بيننا مذاكرة في علم العربية،وكان في الجامع رجل لا نعرفه فالتفت إلينا قائلاً:

(يا هؤلاء أنتم إلى إقامة دينكم أحوج منكم إلى إقامة ألسنتكم).

ثم قال: (وليس بينكم وبين إمام العصر غير هذا الجدار) وأشار إلى جدار السندي(٦٦)..

إنها صرخة انبعثت من قلب هذا الرجل المؤمن ونداء إيماني انطلق من أعماق ضميره.

إنه بكلامه هذا يشير إلى مسؤولية الأمة عما حدث بالإمام وأصابه،فلو كانت جماهير الأمة واعية بدينها متحملة لمسؤوليتها في الالتفاف حول القيادة الشرعية الصحيحة ومقاومة سلطات الظلم والجور لما تمكن الطغاة الحاكمين من اعتقال الإمام وتعذيبه والتنكيل به وقتله غريباً مسموماً.

وتتركز المسؤولية أكثر في تلك الفئة المتجهة لدراسة العلوم الدينية وممارسة دور التوجيه والوعظ الديني للناس..

هذه الفئة لا يصح لها أن تسكت على الظلم والاستبداد وتتشاغل بمسائل النحو والأدب وسائر العلوم الجانبية بينما خيرة أبناء الأمة وطلائعها المجاهدة تقبع في أعماق السجون والزنزانات وتعاني أشد أنواع التعذيب والتنكيل.

والآن وحيث تعج السجون بالمؤمنين المجاهدين في كل مكان فإن شخصيات المجتمع ووجهاء البلد وعلماء الدين خاصة ينبغي أن يقوموا بواجبهم ومسؤولياتهم في الدفاع عن هؤلاء المعتقلين والضغط على السلطات لإطلاق سراحهم وتفقد أحوال عوائلهم والأهم من ذلك تبني الأهداف التي اعتقلوا من أجلها وهي الحرية والاستقلال وتطبيق دين الله..

---

(66) حياة الإمام موسى بن جعفر ج ٢ ص٤٨٨